مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تَصْدُرُ عَنِ

الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة
مؤسّسة علوم نهج البلاغة

مُجازَةٌ من وِزارَةِ التَّعْليمِ العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السنة الخامسة- العدد الحادي عشر

ربيع الثاني ١٤٤٢هـ- تشرين الثاني ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي: ISSN 2414–1313
العنوان: العراق - كربلاء المقدسة - شارع السدرة
مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام
مؤسسة علوم نهج البلاغة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢١٧٨ لسنة ٢٠١٦م
للمعلومات والاتصال
٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠
٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣
الموقع الإلكتروني: www.inahj.org
البريد الإلكتروني: info@inahj.org

تنويه: إن الأفكار والآراء الواردة في أبحاث هذه المجلة تعبرّ عن وجهة نظر كتّابها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة.

(سورة يس، الآية: ١٢)

بطاقة فهرسة

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda.

رقم تصنيف LC: BP1.1 M83. V5. N11 2020.

الرقم العالمي للدوريات(ردمد): ١٣١٣- ٢٤١٤.

العنوان: المبين: مجلة فصلية محكمة تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره.

بيان المسؤولية: مؤسسة علوم نهج البلاغة، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة.

بيانات المطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة- مؤسسة علوم نهج البلاغة، ١٤٤٢هـ = ٢٠٢٠م

الوصف المادي: مجلد.

سلسلة النشر: (مؤسسة علوم نهج البلاغة؛)

تبصرة دورية: الوصف مأخوذ من: السنة الخامسة، العدد الحادي عشر (١٤٤٢هـ- ٢٠٢٠م)

تبصرة دورية: فصلية.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة- ٤٠ هجرياً- سيرة- دوريات.

موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩- ٤٠٦ هجرياً- نهج البلاغة- شرح- دوريات.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة- ٤٠ هجرياً- أحاديث- دوريات.

مصطلح موضوعي: البلاغة العربية- دوريات.

مصطلح موضوعي: الإسلام- دوريات.

مصطلح موضوعي: عقائد الشيعة الإمامية- دوريات.

مؤلف إضافي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩- ٤٠٦ هجرياً- نهج البلاغة-شرح- دوريات.

عنوان إضافي: نهج البلاغة. شرح. دوريات.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

ISBN 978-9933-582-00-5

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No.: الرقم: ب ت 4 / 10669
Date: التاريخ: 2019/11/10

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة المبين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

أشارة الى كتابكم المرقم ٢١٤٤٣ في ٣١/ ٨/ ٢٠١٩ بشأن اعتماد مجلتهم التي تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة التابعة للعتبة الحسينية المقدسة واعتمادها لأغراض الترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات العلمية الاكاديمية العراقية ، حصلت موافقة السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي بتاريخ ٧/١١/ ٢٠١٩ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى وتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية .

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده بإسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ... مع التقدير.

أ.د. غسان حميد عبدالمجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
١٠/١١/٢٠١٩

نسخة منه الى :

- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي / أشارة الى موافقة سيادته المذكورة أعلاه والمثبتة على اصل مذكرتنا المرقم ب ت م٤/ ٧٦٨٠ في ٧/١١/٢٠١٩ / للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير .
- قسم المشاريع الريادية / شعبة المشاريع الالكترونية / للتفضل بالعلم واتخاذ مايلزم ... مع التقدير
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التاليف والنشر والمجلات / مع الاوليات .
- الصادرة .

مهند ، أنس
٧ / تشرين الثاني

رَئِيسُ التَّحْرِير

أ.د. عَبَّاس عَلِيّ حُسَيْن الفَحَّام

جَامِعَةُ الكُوفَة - كُلِّيَّة التَّرْبِيَة لِلبَنَات

مُدِيرُ التَّحْرِير

أ.د. عَلِيّ عَبْد الفَتَّاح الحَاج فَرْهُود الحَسْنَاوِيّ

جَامِعَةُ بَابِل - كُلِّيَّة التَّرْبِيَة لِلعُلُومِ الإِنْسَانِيَّة

هيأة التحرير

أ. د. صلاح مهدي الفرطوسي
جامعة روتردام الإسلامية- هولندا

أ. د. عبد علي سفيح الطائي
مستشار وزارة التربية- فرنسا

أ. د. عبد الحسين عبد الرضا العمري
جامعة ذي قار- كلية الآداب

أ. د. جواد كاظم النصر الله
جامعة البصرة- كلية الآداب

أ. د. محمد حسنين النقوي
جامعة بهاء الدين- باكستان

أ. د. حسين علي الشرهاني
جامعة ذي قار- كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ. د. حسن حميد الفياض
جامعة الكوفة- كلية التربية الأساسية

أ. د. مصطفى كاظم شغيدل
جامعة بغداد- كلية الآداب

أ. م. د. نعمة دهش فرحان الطائي
جامعة بغداد- كلية التربية ابن رشد

أ. م. د. أحمد حسين عبد السادة
جامعة المثنى- كلية التربية للعلوم الإنسانية

م. د. حيدر هادي خلخال الشيباني
مديرية التربية- النجف الأشرف

مراجعة النصوص العربية

د . عمار حسن الخزاعي م . م . علي عباس الربيعي

الإدارة والمالية

د . عمار حسن الخزاعي أحمد عدنان المعمار

زمان جعفر كاظم علي جاسم محمد علي

ترجمة

حسن علي عبد الأمير

الإخراج والتصميم

أحمد عباس مهدي

الافتتاحية:

حضارة الكلمة

كلمة مؤسسة علوم نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والصلاة والسلام على خير النعم وأتمّها محمد وآله الأخيار الأطهار.

أمّا بعد:

فإنّ لكلِّ أمة حضارتها التي تفتخر بها على غيرها من الأمم، ولكلِّ حضارة رجالها الذين بنوها بالفكر والعمل والجد والاجتهاد، ولكلِّ حضارة شواهدها الشامخة وعلاماتها القائمة، وهي تحاكي الأجيال على كرور الأيام أنّ هاهنا كانت أمة.

ولكن ليس كلُّ من رأى حضارة أمةٍ تَفَكّر في حالها، واعتبر بأخبارها وأُفول نجمها، ولم يبق منها سوى مواضع الأطلال، تصهرها أشعة شمس النهار، وتغزوها الأمطار، وتندب حالها الأطيار التي اتّخذتها أوكاراً لأعشاشها، ومأوى لفراخها، وكأنّ قدرها قد حتّم عليها أن لا يلحظها سوى فراخٍ هزيلة، وزواحف دخيلة، تجوب شقوق جدران هياكل الحضارة، وهي تَؤُزُّ بأصواتها لتدعو الإنسان أنّ هاهنا كانت أمة.

ولكننا هنا في حضارة ليست كغيرها من الحضارات، فشموخها قائم في الأذهان وعلاماتها حاضرة في القلوب، وهياكلها تشدّ الأرواح لتهفو إليها أسيرة لأمرها، ومنقادة لنهيها تغفو على المعنى هنا، وترتشف الدِّلالة هناك، وتنتشي العِبْرة هنالك، فضلاً عن حيرتها في نسق التعبير وجمالية المغزى وقوام الجملة، إننا في حضارة الكلمة، كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام)، تلك الحضارة التي عجزت عن محوها الأنداد من الأعراب والأعاجم، فتكسَّرت على جدران حقائقها المعاولُ، وتقهقرت بساحات معارفها الفطاحلُ، ويئِست عن بلوغ مغزاها الأعاظم.

لأنها حضارة الكلمة.. كلمة أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) الذي لم يزل صدى دعوته مردداً «أن هاهنا علماً جماً لو أَصبت له من حملة».

ومن هنا: اتّخذت مؤسسة علوم نهج البلاغة منهجها في النهوض بهذا

التراث المعرفي الذي اكتنزه كتاب نهج البلاغة، فقامت بتأسيس مجلة علمية فصلية مُحَكَّمَة مُعْتَمَدة لأغراض الترقية العلمية في المجال الأكاديمي، تهدف إلى استنهاض الأقلام العلمية والفكرية للارتشاف من معين علوم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وكتاب نهج البلاغة الذي يعد بوابة يلج منها أهل الفكر والبحث إلى حضارة الكلمة، كلمة الله ورسوله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وقرآنه الناطق علي بن أبي طالب (عليه السلام).

لذا:

تدعو أُسرة (مجلة المبين) المفكرين والباحثين في الجامعات والحوزات العلمية إلى الكتابة فيها والإسهام في رفدها بالأبحاث العلمية والدراسات المعمّقة؛ ليدلوا بدلائهم في رياض معين حضارة الكلمة الفياضة فتنتشي الأرواح، وتقر العيون، وتأنس النفوس، وهي تجوب بين أروقة علومها العديدة، وحقول معارفها الجمة.

ولا سيما أنّ (المبين) تُعدّ أوَّل مجلة علميةٍ محكمةٍ في العالمِ الإسلامي مختصةٍ بعلوم كتاب نهجِ البلاغة، وسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره.

سائلين الله تعالى التوفيق والتسديد لإدامة هذا الصرح المعرفي، ونسأله بلطفه وسابق رحمته، وخير نعمه وأتمها محمد وآله أن يديم علينا فضله وفضل رسوله الكريم وهو القائل وقوله حق ووعده صدق:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾ الاسراء -٥٩-.

اللهم إنا إليك راغبون ولفضلك وفضل رسولك سائلون، والحمد لله رب العالمين...

السيد نبيل قدوري حسن الحسني

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

سياسة النشر في مجلة المبين

١. مجلة (المبين) مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة للعتبة الحسينية المقدسة وتستقبل البحوث والدراسات للمؤلفين من داخل العراق وخارجه التي تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره في مجالات المعرفة كافة:

٢. يكون البحث المقدم للنشر ملتزم بمنهجية واخلاقيات البحث والنشر العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً.

٣. أن لا يكون البحث قد نشر سابقاً أو حاصل على قبول للنشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى ويقوم الباحث بتوقيع تعهد خاص بذلك.

٤. لا تقوم المجلة بنشر البحوث المترجمة إلا بتقديم ما يثبت موافقة المؤلف الأصلي وجهة النشر على ترجمة البحث ونشره.

٥. يتحمل مؤلف البحث المسؤولية الكاملة عن محتويات بحثه المرسل للنشر، وتعبر البحوث عن آراء مؤلفيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

٦. يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية تتعلق بهوية المجلة.

٧. يبلغ المؤلف باستلام بحثه من قبل المجلة خلال مدة لا تتجاوز العشرة أيام اعتباراً من تاريخ الاستلام.

٨. يبلغ المؤلف بالموافقة أو عدم الموافقة على نشر بحثه في المجلة خلال فترة لا تتجاوز الشهرين اعتباراً من تاريخ استلام البحث من قبل المجلة.

٩. لا تعاد البحوث غير المقبولة للنشر إلى مؤلفيها.

١٠. يلتزم المؤلف بإجراء التعديلات اللازمة على بحثه ووفق تقارير هيأة التحرير أو المقيمين وإعادته الى المجلة خلال فترة أسبوع من تاريخ استلامه للتعديلات.

١١. جميع البحوث المقدمة للنشر تخضع لعملية التقييم العلمي من قبل ذوي الاختصاص.

١٢. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى فحص الاستلال الالكتروني.

١٣. تنقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقي والالكتروني للبحوث الى المجلة ووفق صيغة تعهد يقوم المؤلف بتوقيعها ولا يحق لأية جهة أخرى إعادة نشر البحث أو ترجمته وإعادة نشره إلا بموافقة خطية من المؤلف ورئيس هيأة التحرير مجلة المبين.

١٤. لا يجوز للمؤلف سحب بحثه بعد صدور قرار قبول النشر، ويجوز له سحب البحث قبل صدور قرار قبول النشر وبموافقة السيد رئيس هيأة التحرير حصراً.

١٥. يمنح المؤلف ثلاث مستلات مجانية مع نسخة من العدد الذي نُشر فيه بحثه.

١٦. يتوجب على المؤلف الإفصاح عن الدعم المالي أو أي من أنواع الدعم الأخرى المقدمة له خلال إجراء البحث.

١٧. يتوجب على المؤلف إبلاغ رئيس التحرير عند اكتشافه لوجود خطأ كبير في البحث أو عدم دقة بالمعلومات وأن يساهم في تصحيح الخطأ.

دليل المؤلفين

١. تستقبل المجلة البحوث والدراسات التي تكون ضمن محاورها المبينة في سياسة النشر.

٢. أن يكون البحث المقدم للنشر أصيلا ولم يسبق نشره في مجلة أو أي وسيلة نشر أخرى.

٣. يعطي المؤلف حقوق حصرية للمجلة تتضمن النشر والتوزيع الورقي والالكتروني والخزن وإعادة الاستخدام للبحث.

٤. لا تزيد عدد صفحات البحث المقدم للنشر عن عشرين صفحة.

٥. ترسل البحوث إلى المجلة عبر بريدها الالكتروني:

Almubeen.mag@gmail.com ,inahj.org@gmail.com

٦. يكتب البحث المرسل للنشر ببرنامج الـ (word) أو (LaTeX)وبحجم صفحة (A4) وبهيأة عمودين منفصلين ويكتب متن البحث بنوع خط Simplified Arabic وبحجم ١٤.

٧. يقدم ملخص للبحث باللغة الإنكليزية وفي صفحة مستقلة وان لا يتجاوز (٣٠٠) كلمة.

٨. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الآتية:

- عنوان البحث.
- اسم المؤلف / المؤلفين وجهات الانتساب.
- البريد الالكتروني للمؤلف / المؤلفين.

- الملخص.
- الكلمات المفتاحية

٩. يكتب عنوان البحث متمركزاً في وسط الصفحة وبنوع خط: Simplified Arabic وحجم Bold 16.

١٠. يكتب اسم المؤلف / المؤلفين متمركزاً في وسط الصفحة وتحت العنوان وبنوع خط Simplified Arabic وبحجم Bold 14.

١١. تكتب جهات الانتساب للمؤلفين بنوع خط Simplified Arabic وبحجم Bold 12.

١٢. يكتب ملخص البحث بنوع خط Simplified Arabic وبحجم: Italic ,Bold 12.

١٣. تكتب الكلمات المفتاحية التي لا يتجاوز عددها عن خمسة كلمات بنوع خط Simplified Arabic وبحجم Italic ,Justify 12.

١٤. جهات الإنتساب تثبت كالآتي (القسم، الكلية، الجامعة، المدينة، البلد) وبدون مختصرات.

١٥. عند كتابة ملخص البحث، تجنب المختصرات والاستشهادات.

١٦. عدم ذكر اسم المؤلف/ المؤلفين في متن البحث على الاطلاق.

١٧. تراعى الأصول العلمية المتعارف عليها في كتابة الهوامش للتوثيق والاشارة بذكر اسم المصدر ورقم الجزء والصفحة، مع ضرورة أن تكون مرقمة ترقيماً

متسلسلا وتوضع في نهاية البحث.

١٨. يلتزم المؤلف بالشروط الفنية المتبعة في كتابة البحوث العلمية من حيث ترتيب البحث بفقره وهوامشه ومصادره، كما يجب مراعاة وضع صور المخطوطات (للنصوص المحققة) في مكانها المناسب في متن البحث.

١٩. تثبيت قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث وحسب صيغة:

Harvard Reference style.

٢٠. جميع الدراسات التي تم الاستشهاد بها خلال متن البحث أو الجداول أو الصور يجب أن تثبت وبشكل دقيق في قائمة المصادر وبالعكس.

٢١. يلتزم المؤلف/ المؤلفون إلى بيان فيما إذا كان البحث المقدم للنشر قد تم في ظل وجود أية علاقات شخصية أو مهنية أو مالية يمكن تفسيرها على أنها تضارب في المصالح.

دليل المقيمين

إن المهمة الرئيسية للمقيم العلمي للبحوث المرسلة للنشر، هي أن يقرأ البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بعناية فائقة وتقييمه وفق رؤى ومنظور علمي أكاديمي لا يخضع لأي آراء شخصية، ومن ثم يقوم بتثبيت ملاحظاته البنّاءة والصادقة حول البحث المرسل إليه.

قبل البدء بعملية التقييم، يرجى من المقيم التأكد فيما إذا كان البحث المرسل إليه يقع ضمن تخصصه العلمي أم لا، فإن كان البحث ضمن تخصصه العلمي، فهل يمتلك المقيم الوقت الكافي لإتمام عملية التقييم، إذ إن عملية التقييم يجب أن لا تتجاوز العشرة أيام.

بعد موافقة المقيم على إجراء عملية التقييم وإتمامها خلال الفترة المحددة، يرجى إجراء عملية التقييم وفق المحددات الآتية:

١. هل أن البحث أصيلاً ومهمًا لدرجة يجب نشره في المجلة؟.

٢. فيما إذا كان البحث يتفق مع السياسة العامة للمجلة وضوابط النشر فيها.

٣. هل أن فكرة البحث متناولة في دراسات سابقة؟ إذا كانت نعم،

يرجى الإشارة إلى تلك الدراسات .

٤. مدى تعبير عنوان البحث عن البحث نفسه ومحتواه؟.

٥. بيان فيما إذا كان ملخص البحث يصف بشكل واضح مضمون البحث وفكرته.

٦. هل تصف المقدمة في البحث ما يريد المؤلف الوصول إليه وتوضيحه بشكل دقيق، وهل وضح فيها المؤلف ما هي المشكلة التي قام بدراستها.

٧. مناقشة المؤلف للنتائج التي توصل إليها خلال بحثه بشكل علمي ومقنع.

٨. يجب ان تجرى عملية التقييم بشكل سري وعدم اطلاع المؤلف على أي جانب فيها.

٩. اذا أراد المقيم مناقشة البحث مع مقيم آخر فيجب ابلاغ رئيس التحرير بذلك

١٠. يجب أن لا تكون هنالك مخاطبات ومناقشات مباشرة بين المقيم والمؤلف فيما يتلق ببحثه المرسل للنشر، ويجب أن ترسل

ملاحظات المقيم إلى المؤلف من خلال مدير التحرير في المجلة.

١١. إذا رأى المقيم بأن البحث مستلاً من دراسات سابقة، توجب على المقيم بيان تلك الدراسات لرئيس التحرير في المجلة.

١٢. إن ملاحظات المقيم العلمية وتوصياته سيعتمد عليها وبشكل رئيسي في قرار قبول البحث للنشر من عدمه، كما يرجى من المقيم الإشارة وبشكل دقيق إلى الفقرات التي تحتاج إلى تعديل بسيط ممكن أن تقوم بها هيأة التحرير وإلى تلك التي تحتاج إلى تعديل جوهري يجب أن يقوم بها المؤلف نفسه.

نموذج تعهد الملكية الفكرية ونقل حقوق الطبع والتوزيع في مجلة المبين

أنا / نحن الموقع / الموقعون أدناه نقر بأن البحث الموسوم

والمقدم للنشر في مجلة المبين هو نتاج جهدي/ جهدنا الخالص وجميع الآراء والاستنتاجات التي تضمنها البحث هي نتاج عملي/ عملنا خلال فترة إنجازه باستثناء ما تمت الإشارة إليه في متن البحث، حيث إن دراسات الآخرين وأفكارهم وآرائهم التي استعملت في هذا البحث قد تمت الإشارة إليها في متن البحث ووضعت بدقة ضمن قائمة المصادر، كما أتعهد/ نتعهد بالفهم والتطبيق الكامل لقواعد البحث والنشر العلمي المعتمدة في مجلة المبين وإن العمل الذي أدى الى إنتاج هذا البحث قد تم وفق أخلاقيات البحث العلمي المعروفة عالمياً، فضلاً عن ذلك، فأنا/ نحن أتعهد/ نتعهد بأن هذا البحث لم يسبق وأن نشر أو قُدم للنشر في مجلة أو أية وسيلة نشر أخرى وأمتلك/ نمتلك الحقوق الحصرية الكاملة لنشر البحث لغاية تاريخ توقيع هذا العقد، وبذلك أوافق/ نوافق على نقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقي والالكتروني لهذا البحث إلى مجلة المبين أو من تخوله هذه المجلة.

ت	اسم المؤلف / المؤلفون	البريد الالكتروني	التوقيع والتاريخ

ملاحظة : يملئ هذا الحقل في حال كون المؤلف مخول من بقية المؤلفين لتوقيع هذا التعهد نيابة عنهم

اني ..... مخول/ مخولة من جميع المؤلفين المشتركين معي في هذا البحث للتوقيع على هذا التعهد نيابة عنهم وأتعهد بصحة كافة معلوماتي الشخصية التي وردت في هذا التعهد ولأجله وقعت.

التوقيع: التاريخ:

البريد الالكتروني: رقم الهاتف:

الصفحة	عنوان البحث	اسم الباحث
٢٦	كلمة العدد	أ. د. عباس علي الفحام رئيس التحرير
٢٨	ملف العدد	أثر نهج البلاغة في مواجهة الفكر المتطرف الإلحاد أنموذجاً
٢٩	مظاهر المعرفة التوحيدية في نهج البلاغة	أ.د. عباس علي الفحام جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات
٥١	أدب التوحيد في نهج البلاغة دراسة أسلوبية	أ.د. حسن حميد الفياض جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية – قسم اللغة العربية
٧٧	إبطال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عقيدة الديانات الثنوية ـ دراسة تحليلية	أ. م. د. وليد عبد الحميد خلف جامعة الكوفة / كلية الفقه
١٠٩	نهج البلاغة وشبهات الملحدين مقاربات في مواجهة الأفكار الإلحادية	أ.د. محمد محمود زوين جامعة الكوفة / كلية الفقه

الصفحة	عنوان البحث	اسم الباحث
١٢٩	حديث المنزلة بين الدلالة القرآنية والمراد النبوي دراسة عقدية	أ.م.د محمد حسين عبود جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية – قسم الفقه وأصوله
١٥٧	البنية التركيبية القرآنية وأثرها في توجيه المعنى الخطبة القاصعة أنموذجا	م. م. خالد عبد النبي عيدان الأسدي جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية – قسم الفقه وأصوله

كلمة العدد

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بنعمة الإيمان وجعلنا من موالي سيد الأنام وآل بيته الكرام صلوات الله عليهم أجمعين. وبعد:

مرت أشهر طويلة من التحديات الصحية العالمية جرَّاء الوباء العالمي المسمَّى (كوفيد كورونا ١٩)، مسَّت صميم الحياة وأفقدتنا أحباءنا وغيَّرت أسلوب حياتنا الاجتماعية والعلمية، غير أن الإنسان المؤمن عليه أن يجتهد في أدائه على أمثل ما يكون، ويبتكر آليات عمل جديدة على مختلف الصعد، ومنها المجالات العلمية فعجلة الحياة لا تتوقف.

ومن هنا اعتمدنا أسلوبًا جديدًا لم نعهده من قبل في الندوات والمؤتمرات العلمية والنشر العلمي للمجلات يضمن التباعد الاجتماعي قدر المستطاع، فكان أن قلَّ الحضور العياني ولم يقل الجهد العلمي، وحلَّ محله النشر الإلكتروني ضمانًا لسيرورة العمل وتواصلًا مع كتَّابنا وطلاب المعرفة؛ فكان أن صدر العدد الماضي وطبع تحت هذه الوطأة الشديدة التي مسَّت الصحة والمال على السواء، وها هو اليوم بفضل الله نطل عليكم -أعزاءنا القرَّاء ومريدي علوم نهج البلاغة- بهذا العدد الجديد من مجلتكم (المبين)، الذي نتشرف أن يكون نوعيًّا كما نتأمل في خدمة الإرث العلوي الخالد. وإن مما يسر أن يجتهد الباحثون دائما في البحث عما هو جديد قدر المستطاع في هذا الإرث الخالد الذي يستقي من القرآن الشريف؛ لذلك لا ينضب مهما نهل منه الباحثون وكتب فيه أهل العلم، ونسعد أن نقدم شيئًا مكملًا لما سبق من الأعداد الماضية للمجلة؛ لأننا نعتقد أن العلوم المختلفة التي تتبنى سياسة مجلة المبين نشرها تكمل بعضها بعضًا، وإن كنا طموحين في التركيز أكثر على الجوانب التطبيقية العلمية المحضة في علوم الصحة والجيولوجيا والفلك ونحو ذلك في الأعداد القادمة إن شاء الله.

وهذا العدد الجديد تضمَّن ملفًّا ألقى الضوء على أخطر ما يواجه هويتنا الإسلامية ومجتمعنا هي قضية الإلحاد ومظاهره المتطرفة، ففي نهج البلاغة وقفات مبينة في الرد بتقديم الدليل على بطلان هذه الأفكار، فهي أفكار ليست جديدة في عصرنا؛ بل قديمة قال بها الوثنيون واللادينيون.

وقد أشار القرآن العزيز إلى الذين أرادوا الدنيا ولم يعترفوا بالآخرة قال تعالى ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾ [الجاثية ٢٤]. وقد فنَّد القرآن الكريم زعمهم في أكثر من موقف، ومن العجب في هذا العصر التنويري المبني على توضيح العلل نكران الصانع الخالق أو القول بصدفة الخلق، والأعجب منه أن تنشر مثل تلك الأفكار المتطرفة ويتم تبنيها من دون علم لا لشيء إلا لضرب وحدة الصف من داخل المجتمع المؤمن.

وحفل نهج البلاغة في تقديم البراهين الدالة والبينات الواضحة لكل ذي مسكة من عقل التي تثبت أحدية الخالق، وأن للكون وهذا الخلق صانعًا واحدًا وخالقًا لا ينكره إلا المعاندون.

وإن مما ينبغي الإشارة إليه أن أغلب خطب الإمام (عليه السلام) وإن تناولت موضوعات في خلق الإنسان أو الحيوان أو ذكر النبات أو خلق الأرض والسماء كلها تتضمن في نهايتها إثبات الخالق، وأن خالق النملة هو خالق النخلة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام). ولذلك أخذ هذا العدد على عاتقه نشر البحوث الرصينة في تناول مختلف هذه القضايا التي تظهر الحق وتبطل الباطل، وليفتح بذلك بوابةً من المعارف لا تنتهي حول الموضوع. ومما تجدر الإشارة إليه أن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تصدَّوا كثيرًا لمثل هذه الحركات الفكرية المتطرفة كالإلحادية والثنوية والزندقة والظاهرية وغيرها، وكان لعلوم أهل البيت وتلاميذهم الرد الحاسم في صون الفكر التوحيدي عما يشينه في مجتمع التوحيد، فهم زادٌ معرفيٌّ إنسانيٌّ لا ينضب، وقيمته في الحاجة الفعلية للإنسان إليه دائما. ومما استبطن تراثهم (عليهم السلام) من أسرار لم يتعلق بفنون القول فحسب؛ بل في رياداتهم المختلفة، فأمير المؤمنين علي (عليه السلام) كان وحده أمة من العطاء وقيم النبل والإيثار، فقد رسم الاستراتيجية السليمة لقيادة الأمة، فله في ذلك إشارات سجلتها الكتب ووثقتها أقلام العلماء، ومن هنا تسعى مؤسسة علوم نهج البلاغة ومن خلال مجلتها (المبين) إلى الكشف عن هذه الدرر العلوية الثرية بما يحتاجه عالمنا اليوم وأجيال أبنائنا من هذا السفر العجيب.

ونستثمر المناسبة دائما في استنهاض همم الكتَّاب والمبدعين ونذكِّرهم بأنَّ مجلتهم رائدة في هذا المجال فتدعوهم إلى إغناء الدراسات العلمية بمثل ذلك، فسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) وكلامه المجموع فيه الغنى لما يبتغي المجتمع والجيل الجديد وما على العلماء والباحثين إلا إعمال الفكر وتفعيل الأقلام بالدرس والتحليل والاستقصاء والاستنتاج والتعليل مما تحتاجه أجيال اليوم من فكِّ عُقد هذا العصر الذي نعيشه.

يشرفنا على الرغم من التحديات القاتلة أن يطلَّ العدد الحادي عشر من عمر مجلة (المبين) من جديد لنضعه بين أيدي القراء وطلاب المعرفة الحقة، في بادرة جدية لمحاربة الأفكار الضالة صونًا للنفس والعقل وتشويه الحقائق. والله تعالى ندعو ونسأل من سبحانه السداد في خدمة العلم وأهله، فنحن نرمي إلى الأخذ بيد القارئ نحو الحقيقة وتجنب التكرار، ومحاولة تقديم الجدة في سياستها، راجين أن تكون مما يغني المكتبة بأعدادها الكثيرة المتنوعة ومنها هذا العدد؛ ليكون إضافة قيمة علمية نوعية أخرى في سلسلة الدراسات العلوية، متوخِّين في ذلك إثراء المكتبة المعرفية وإغناء الدارسين بالبحوث الرصينة ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود من الآية:٨٨] والحمد لله رب العالمين.

رَئِيسُ التحريرِ

ملف العدد

أثر نهج البلاغة في مواجهة الفكر المتطرف
الإلحاد أنموذجاً

* مظاهر المعرفة التوحيدية
في نهج البلاغة

* أدب التوحيد في نهج البلاغة
دراسة أسلوبية

* إبطال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)
عقيدة الديانات الثنوية ـ دراسة تحليلية

* نهج البلاغة وشبهات الملحدين
مقاربات في مواجهة الأفكار الإلحادية

مظاهر المعرفة التوحيدية
في نهج البلاغة

The Manifestation of Monotheism Know ledge in

Nahjul- Balaga.

أ.د. عباس علي الفحام

جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

Prof. Dr. Abbas Ali Al-Faham

University of Kufa \ College of Education for Girls

ملخص البحث

انحدر علي بن أبي طالب (عليه السلام) من الأرحام المطهرة والأصلاب الشامخة، فهو من أسرة أصلًا تعتقد بالدين الحنيف من نسل إسماعيل (عليه السلام)، ولكن ما ميزه هو التربية الخاصة التي منَّ الله تعالى بها عليه بتبنّي النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) له، فهو بالأصل نشأ على فطرة التوحيد، ومن هنا لم تكن المعاني القرآنية العميقة جديدة عليه، فقد فتح عينيه وهو يستلذها ويعيش أبعادها متأمّلًا وعابدًا مع النبي (صلى الله عليه وآله)، سواء في خلواته في غار حراء، أو في سلوكياته التي كان يتبع فيها ابن عمه اتباع الفصيل أثر أمه. ومن التتبع الدقيق لشخصيته من الطفولة حتى اليفاعة نجد ذوبانها في الحضرة النبوية في النواحي جميعها من التشابه في العمق التفكيري والروحاني إلى شبه التطابق في اللغة والحركات، ولذلك تميز بظواهر اجتماعية وأدبية ألصق بالشخصية النبوية ولم ينكر أحد نسبتها إليه. كاختصاصه بالملازمة والامتداد النسبي من جهة فاطمة (عليها السلام) وتردد نسبة الكلام أحيانا بينه وبين النبي (صلى الله عليه وآله) إلى فضائل جمة لا يمكن حصرها في هذه الأسطر. ولذلك كله ومن باب الأسباب الطبيعية نؤكد أنَّ فكرة التوحيد ومعانيها العظيمة ذائبة في نفس علي (عليه السلام)، عزز قدرة التعبير عنها قوة حفظه وعمق تمثله للمعاني القرآنية عامة ولغته التوحيدية بشكل أخص.

إنّ اليقين المعرفي الذي اتسم به فكر الإمام علي (عليه السلام) زاخر في موضوعاته المجموعة في نهج البلاغة، فهو القائل «لَوْ كُشِفَ اَلْغِطَاءُ مَا اِزْدَدْتُ يَقِيناً».

تبحث هذه الدراسة عن مظاهر التوحيد في نهج البلاغة، وخصصت نهج البلاغة بوصفه الأوثق في الجمع والأكثر رصانة من غيره من الكتب التي جمعت كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولذا بحثت مظاهر المعاني التوحيدية التي زخر بها الكلام العلوي في أربعة مظاهر هي: أولها: الرؤية الكونية الشاملة، وثانيها: استظهار المعرفة القرآنية، وثالثها: درست لغة الاستدلال المنطقي، ورابعها: بحثت في طبيعة المعالجة الأدبية للكلام التوحيدي العلوي، واستعنت بجملة من المصادر الخاصة بنهج البلاغة وشروحاته، والقرآن الكريم وتفسيره، فضلًا عمَّا يحيط بهما من مصادر التاريخ والبلاغة والنقد، محاولًا منها حسن الولوج إلى النص بغية اكتشاف خباياه، التي انتهيت منها إلى نتائج واضحة أثبتها بنقاط محددة، راجيًا الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما درست، فإنَّه نعم المولى والنصير.

Abstract

Imam Ali Abn Abi Talib was born to faithful family descended from Ismael (pbuh) adoption. He raised on monotheism by nature. Consequently deep quranic meanings aren't new to him. He realized it with the prophet either in selection at the Cave of Hira or behaviors and when she follows the prophet. Following his personality from childhood to youth we found that they were similar in thoughtfulness and Spirituality and seem to be identical language and movements therefor, he is distinguished and social and moral aspects more related to prophetic personality, which are undeniable he is that extraction of the lineage through Fatima (pbuh), his talk was part of prophet hadith and great virtues can't be limited in these few lines. For all of this, we I'm affirm that the idea of monotheism and it's a great meanings are ingrained in his soul do it his excellent memory on deep understanding of Quranic meanings generally and language of monotheism particularly have enhanced the expressiveness of it. Certainty of Imam Ali (pbuh) is it replied with themes collected in Nahjul- Balaga. This study deals with monotheism manifestation in Nahjul- Balaga has the most reliable on sobriety. So I searched the manifestation of monotheism meanings in a mom Ali sayings and for aspects:

Firstly the overall Cosmic Vision, secondly Quranic knowledge memorization, Sara Lee studied the language of logical reasoning, fourthly searched the nature of literary treatment of the monotheism speech of Imam Ali and I used resources that are related to Nahjul- Balaga and it's commentaries and the Holy Quran and it's interruption in addition to history, rhetorique and criticism trying to access to the text to discover recesses which lead me to clear results to specific points, hoping for acceptance from Allah whom the best lord and supporter.

المقدمة

فطرة التوحيد عند الإمام علي (عليه السلام)

انحدر علي بن أبي طالب (عليه السلام) من الأرحام المطهرة والأصلاب الشامخة، فهو من أسرة أصلًا تعتقد بالدين الحنيف من نسل إسماعيل (عليه السلام)، ولكن ما ميَّزه هو التربية الخاصة التي منَّ الله بها عليه بتبنِّي النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) له، فهو أصلًا نشأ على فطرة التوحيد، ومن هنا لم تكن المعاني القرآنية العميقة جديدة عليه، فقد فتح عينيه وهو يستلذها ويعيش أبعادها متأملًا وعابدًا مع النبي (صلى الله عليه وآله)، سواء في خلواته في غار حراء، أو في سلوكياته التي كان يتبع فيها ابن عمه اتباع الفصيل أثر أمه. ومن التتبع الدقيق لشخصيته من الطفولة حتى اليفاعة نجد ذوبانها في الحضرة النبوية في جميع المناحي من التشابه في العمق التفكيري والروحاني إلى شبه التطابق في اللغة والحركات، ولذلك تميز بظواهر اجتماعية وأدبية ألصق بالشخصية النبوية ولم ينكر أحد نسبتها إليه. كاختصاصه بالملازمة والامتداد النسبي من جهة فاطمة (عليها السلام) وتردد نسبة الكلام أحيانا بينه وبين النبي (صلى الله عليه وآله) إلى فضائل جمة لا يمكن حصرها في هذه الأسطر. لذلك كله ومن باب الأسباب الطبيعية نؤكد أن فكرة التوحيد ومعانيها العظيمة ذائبة في نفس علي (عليه السلام)، عزز قدرة التعبير عنها قوة حفظه وعمق تمثله للمعاني القرآنية عامة ولغته التوحيدية بشكل أخص.

وهذه الدراسة تبحث عن مظاهر التوحيد في نهج البلاغة، وخصصت نهج البلاغة بوصفه الأوثق في الجمع والأكثر رصانة من غيره من الكتب التي جمعت كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)،

ولذا بحثت مظاهر المعاني التوحيدية التي زخر بها الكلام العلوي في أربعة مظاهر هي: أولها: الرؤية الكونية الشاملة، وثانيها: استظهار المعرفة القرآنية، وثالثها: درست لغة الاستدلال المنطقي، ورابعها: بحثت في طبيعة المعالجة الأدبية للكلام التوحيدي العلوي.

واستعنت بجملة من المصادر الخاصة بنهج البلاغة وشروحاته، والقرآن الكريم وتفسيره، فضلًا عمَّا يحيط بهما من مصادر التاريخ والبلاغة والنقد، محاولًا منها حسن الولوج إلى النص بغية اكتشاف خباياه، التي انتهيت منها إلى نتائج واضحة أثبتها بنقاط محددة، راجيًا الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما درست، فإنَّه نعم المولى والنصير.

مظاهر المعرفة التوحيدية

إنّ اليقين المعرفي الذي اتسم به فكر الإمام علي (عليه السلام) زاخر في موضوعاته المجموعة في نهج البلاغة فهو القائل: «**لَوْ كُشِفَ اَلْغِطَاءُ مَا اِزْدَدْتُ يَقِيناً**»[1]. ويمكن تجليته بأربعة مظاهر هي:

أولا: الرؤية الكونية الشاملة

إن المحتوى الذي حملته ألفاظ الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة يستند إلى مرتكزات رئيسة مرتبطة ببنية التكوين الفكري لذهنية الإمام (عليه السلام)، التي لا يمكن فصلها عن المضمون القرآني، وكان فيها «يصدر عن رؤية كونية شاملة، محاورها ثلاثة موضوعات لا انفصال بينها هي: الله والعالم والإنسان»[2]. فقد تدبر الإمام علي (عليه السلام) في الكون وتأمل فيه، وكأنه عالم واحد، لا عوالم متعددة، فتفاعل مع موجوداته وأحس بها، تابع منظر خلق أدق الدواب، في حركاتها وسكناتها، وتأمل

في إبداع هيأة الجوامد فاستنطقها بذهنه الوقاد، وتفرس في خلق ما لم تقع عليه الحاسة فأدركه ببصيرة العقل، فدلته تلك الدلائل على أن صانعها واحد ومنشئها عظيم ليس كمثله شيء. وكل شيء في نهج البلاغة يتعلق بالتوحيد، فكان حديثه عن الجنين، وملك الموت، وخلق النملة، والخفاش، والجرادة، والطاووس، وخلق الأرض والسموات، والجبال والأنهار، حديث العارفين بأوليات خلقها وإتقان صنعها، وهو بعد حديث وعي الدرس القرآني كما ذكر العقاد[٣]، وهذا التدبر الدقيق في خلق الموجودات هو الذي مكنه (عليه السلام) من عرض دلائله التوحيدية عرضًا شاملًا عميقًا محيطًا ولافتًا للانتباه، نحو تفصيل كلامه في دقائق خلق النملة «.. **وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ اَلْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ اَلنِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى اَلطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ اَلْحَرِيقِ؛ وَلَكِنِ اَلْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ، وَاَلْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ. أَلاَ تَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ اَلسَّمْعَ وَاَلْبَصَرَ، وَسَوَّى لَهُ اَلْعَظْمَ وَاَلْبَشَرَ، اُنْظُرُوا إِلَى اَلنَّمْلَةِ، فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لاَ تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ اَلْبَصَرِ، وَلاَ بِمُسْتَدْرَكِ اَلْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَ ضَنَّتْ عَلَى رِزْقِهَا، تَنْقُلُ اَلْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا. تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وَفِي وُرُودِهَا لِصَدَرِهَا، مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِرِفْقِهَا. لاَ يُغْفِلُهَا اَلْمَنَّانُ، وَلاَ يَحْرِمُهَا اَلدَّيَّانُ، وَلَوْ فِي اَلصَّفَا اَلْيَابِسِ وَاَلْحَجَرِ اَلْجَامِسِ، وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا وَفِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي اَلْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا، وَمَا فِي اَلرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً، وَلَقِيتَ**

مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً. فَتَعَالَى اَلَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا، لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ، وَ لَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ، مَا دَلَّتْكَ اَلدَّلاَلَةُ إِلاَّ عَلَى أَنَّ فَاطِرَ اَلنَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ اَلنَّخْلَةِ»[٤]، بقدر الذهول الذي يعتريني عند قراءة هذه التفاصيل عن كائن لا تستبين دقائق خلقه للإنسان الاعتيادي على الأقل اليوم، فكيف بذاك الزمن البعيد عن التوصيف العلمي للحيوان على هذا النحو الذي يعنى به اليوم اختصاص علم التشريح، أقول بقدر الذهول ذلك أقف منتبها على العدول المثير لعظمة التدبر عند الإمام علي (عليه السلام) في قوله الرابط بين مخلوقين بعيدين تمام البعد عن طبيعة خلقتهما «فَاطِرَ اَلنَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ اَلنَّخْلَةِ»، ففي العلم ذاك من المخلوقات الحيوانية وهذا من الموجودات النباتية، وبينهما ما بينهما من اختلاف واسع في الحركة والسكون والطبيعة، ولكن ذلك كله لم يمنع من الغوص في تدبر خلقهما وتقديمهما دلائل عظمة على أنَّ صانعهما واحد، لأنَّ المعرفة الدقيقة التي توصل إليها الإمام في اتقان المصنوع أيا كان شكله أتاحت له هذا الربط بين الخلق، إذ ليس ثمة خطأ في الصناعة أو سوء في التدبير كما هي الحال مع البشر، سبحانه تنزهت صفاته عما نقول وهو الذي أتقن كل شيء صنعه. إنَّ هذه النقلة بالسامعين من حديث النملة المفصل إلى حديث النخلة المقتضب بحد ذاته خطبة توحيدية جلية بالبرهان من جهة أدبية الجناس بين المفردتين، وما تثيره من ترديدات صوتية مقصودة لإثارة الذهن، ومن جهة الشكل المتناقض بين الضآلة والضخامة،

ومن جهة الصورة المعتادة للسامعين في هذين المنظرين. ومن هنا علل الإمام (عليه السلام) هذا الربط بقوله «لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وَغَامِضِ اِخْتِلاَفِ كُلِّ حَيٍّ، وَمَا اَلْجَلِيلُ وَاَللَّطِيفُ وَاَلثَّقِيلُ وَاَلْخَفِيفُ وَاَلْقَوِيُّ وَاَلضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلاَّ سَوَاءٌ»[٥] وأردف ذلك بمزيد من الشواهد فقال: «كَذَلِكَ اَلسَّمَاءُ وَ اَلْهَوَاءُ وَ اَلرِّيَاحُ وَاَلْمَاءُ»[٦].

وسنكتفي بإيراد شاهد واحد على أن نحيل القارئ إلى مزيد من ذلك كوقوفه على تفصيل خلق الطاووس والجرادة والخفاش. إذن ثمة رؤية شاملة للكون لدى الإمام (عليه السلام) استطاع بها أن يوالف بين أجزاء الموجودات ليقينه بأنَّ صانعها واحد، لذلك فهو يدأب على إيجاد علاقات خفية بين أجزاء هذا الكون، وإن بدت بعيدة فيما بينها كل البعد، وهو بهذه الرؤية الشاملة يستنتج من مجموع الحيثيات قاعدة عامة بأن من يجمع بينها خالق لا يمكن أن يكون له ضد، لأنَّ الجمع بين الأضداد مستحيل على غير الله تعالى.

ثانيًا: استظهار المعرفة القرآنية

عرف الإمام علي (عليه السلام) القرآن وعلومه منذ أن عرف الحياة بعقله وذهنه، لأنَّه لازم النبي (صلى الله عليه وآله) منذ أن كان طفلًا، فقد تشرَّبت روحه حب القرآن صياغة ومضمونًا، حتَّى جرى ذلك على لسانه متمثلًا ومعيدًا ما اختزن في ذاكرته، فهو «يتتلمذ للقرآن الكريم، ويستوحيه في عرفان إسلامه، وتقرير إيمانه»[٧]. ويبدو أن القدرة على استحضار المعرفة القرآنية كانت من أكثر ما تميز به كلامه (عليه السلام) من فرادة في المعرفة التوحيدية المبكرة والجديدة على الذهنية العربية، فأتاحت له التكلم بعمق غير مسبوق عن

الذات الإلهية بشكل مستفيض قرب به البعيد وأزاح منه الغامض على جلالة الحديث وجدته، مستثمرًا الطاقة اللغوية القرآنية في أبعد مدياتها في تقديم المعنى وتجليته للمتلقين، فللإمام خطب اختصت بهذا المعنى بشكل لافت، إذ توسَّع فيها على أصل المعنى القرآني مفصلًا غاية التفصيل، ومقيمًا الأدلة العملية والنظرية من أجل إثبات وحدانية الله تعالى. نحو قوله في إحدى خطب التوحيد: «مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَ تَوَهَّمَهُ، كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ وَ كُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ، فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ، مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ، غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ، لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ وَلَا تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ، سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ وَالِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ، ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ، وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ وَالْحُرُورَ بِالصَّرَدِ، مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا، مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا، لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الْآلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا...»[٨].

ولا يمتلك أحد الجرأة- مستثنين رسول الله (صلى الله عليه وآله) طبعا- على ذكر الذات المقدسة وصفاتها بهذه الدقة غير علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بل ليست لأحد هذه المعرفة بالله تعالى سواه، وكل ذلك للتنشئة الخاصة التي وهبها في حضن النبوة والقرآن، وهو القائل: «وَاللهِ مَا أَسْمَعُكُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً، إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا الْيَوْمَ

مُسْمِعُكُمُوهُ»[٩].

ولاشك في أن مرجع هذه المعاني هو الأصل القرآني في نفي الإلوهية عن غير الله تعالى، ولكن ليس ثمة محددات في القرآن الكريم يمكن بها إرجاع ما جاء من معاني الإمام في خطبته؛ سوى تأكيدنا على ما أعطي الإمام من علم وقدرة على التفصيل والاتساع، وإمكانية الإضافة إبانةً وشرحًا لما جاء في الأصل القرآني من الآيات المتكررة في إحاطة الله تعالى بكلِّ شيء، وقدرته على كل شيء وأنه لا يجري عليه الزمان أو المكان، نحو قوله تعالى: ﴿لله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٠]. وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١١].

وقوله سبحانه: ﴿وَالله بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[١٢]. وقوله جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١٣].

إن معرفة الإمام (عليه السلام) بهذه الكليات المطلقة للخالق التي ترد كثيرًا في آيات القرآن العظيم (كل شيء) هي التي مكنته من التفصيل في حديثه عن الذات المقدسة، وإبانته عن قدرة الله تعالى في المواءمة بين المتضادات ما بين الموجودات التي هي داخلة طبعًا في قدرة الله تعالى الكلية. وهكذا بدا أنَّ الإمام عليًّا (عليه السلام) انطلق من القواعد العامة التي جاءت في القرآن الكريم وأخذ يفصل فيها الكلام ويقيم عليها البراهين.

ثالثًا: لغة الاستدلال المنطقي

لطالما استعمل الإمام الأدوات العقلية والمنطقية في إيصال ما يريد من معانٍ عميقة، ولاسيما قضية التوحيد ومعاني الغيب، وهو بذلك يستدرج ذهن المتلقي بتأنٍ من طريق

مقدمات يتمم بعضها بعضا في الوصول إلى البرهان تعزيزًا للفكرة التي يقدمها، إنَّه يبدأ بالمعلومة الثابتة المتفق عليها ثم ينتقل بعد ذلك إلى التفصيل في تعميق معانيها ليفجأ السامع بالبرهان المنطقي الواضح إلى الغاية من إيراد المثل برمته، ويعد ذلك أحد أساليب الإمام في كلامه التوحيدي، نحو قوله في حقيقة الموت «هَلْ تَحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا، أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً، بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا، أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا، أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا، كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ، مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ؟»[١٤].

هذه قاعدة منطقية واضحة، فإذا كان المصنوع غير مدرك كنهه فكيف يريد المرء كنه معرفة الصانع!.

وبهذا الأسلوب فقد وظَّف الإمام لهذا الاستدلال إمكانات لغوية مهدت لهذا الإقناع، فاستفهاماته على سبيل الإنكار عن الإحساس بالموت، والتساؤلات الأخيرة من قبيل تجاهل العارف بالنسبة إليه[١٥].

والإمام (عليه السلام) ترامى إلى الغرض الأخير من كلامه، وإنما جعل حديثه عن الملك والجنين توطئة مهد بها لمعناه الدقيق في وصف الذات المقدسة. ومن ذلك قوله: «فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَ الْمَاءِ وَالْحَجَرِ وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ، وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ، وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ الْمُقَدِّرَ وَأَنْكَرَ الْمُدَبِّرَ، زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا وَهَلْ

يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ»[16].

فهذا تدرج منطقي في استثمار الظواهر لإثبات الصانع، موظِّفًا أغلب آلياته في التدرج من المقدمات ولغة الإنشاء الطلبي كالأمر والاستفهام القادرين على إثارة الذهن وإيقاظه. وأقام الإمام أكثر من دليل ينفي به إمكان رؤية الله تعالى أو إدراكه إدراكًا بصريًّا بمعنى «أنَّ الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه، لأنَّه متعالٍ أن يكون مبْصَرًا في ذاته، لأن الأبصار إنَّما تتعلق بما كان في جهة أصلًا أو تابعًا كالأجسام والهيئات»[17]. على أنَّ الإمام- من وجه آخر- لم يفته القول بأنَّ الله سبحانه يدرك بالسبيل الذي به استخلف مخلوقه المميز الإنسان وهو العقل. يذكر أن أحد أصحاب الإمام يقال له ذعلب اليماني قال له: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين فقال (عليه السلام):

«أَ فأعبد ما لا أرى؟ فقال وكيف تراه؟ فقال: لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَ لَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَامِسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ...»[18]. فالإمام- كما القرآن- يبث في النفس حقائق أخرى للإدراك، تسمو عن مرامي الأبصار الحسية. ولطالما أكد (عليه السلام) هذه الفكرة، كقوله:

«الْحَمْدُ لله الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاظِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، ...، تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ، لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا، لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً،

وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً، بَلْ كَبُرَ شَأْناً وَعَظُمَ سُلْطَاناً»[١٩].

والشواهد معناها الحواس بدلالة قوله مفسرا لها (ولا تراه النواظر)، والمشاهد عنى بها المجالس والنوادي وفسرها بقوله (ولا تحجبه السواتر). وأكد إدراك الله تعالى بالعقل بقوله (تتلقاه الأذهان..) أي تلقيًا عقليًّا كما يقول ابن أبي الحديد، و«ليس كما يتلقَّى الجسم الجسم، بمشاعره وحواسِّه وجوارحه، وذلك لأنَّ تعقل الأشياء هو حصول صورها»[٢٠]. وممَّا تقدَّم نجد أنَّ لغة الاستدلال العقلي كانت إحدى مظاهر المعرفة التوحيدية في كلام الإمام (عليه السلام).

رابعًا: المعالجة الأدبية

ممَّا عرف به كلام الإمام في المجال المعرفي عامة والتوحيدي خاصة هو تمكنه من معالجة ذلك كله معالجة أدبيَّة ينقل بها الحقائق من الضيق المعجمي إلى شاعرية الأدباء؛ بغية مزيد من التوضيح والتأثير في السامعين، وربما كان ذلك أحد وسائل ابتكاراته (عليه السلام) في حفظ كلامه في أذن الدهر وقلوب محبيه ومبغضيه على السواء، فهو «أول من عالج فن الخطابة معالجة الأديب، وأول من أضفى عليها صبغة الإنشاء الذي يقتدى به في الأساليب»[٢١]. ومن المعلوم أنَّ المعنى إذا كان أكثر عمومًا وأغنى أمثلة وخصائص كان أيسر في التعبير عنه، وكانت الألفاظ اليه أسرع، وكلما ضاق المعنى وتحدد ودق وتعمق كان التعبير عنه أشق وكانت الألفاظ من حوله أقل، ولذا كانت موضوعات التوحيد والمعاد والثواب والعقاب مما يعسر على الأدباء تأديتها تأدية فنية لعدم قدرته على التوفيق بين المعنى

الجديد والأداء الفني. فأصحاب الفصاحة والبيان- بشكل عام- خاضوا بقوة في موضوعات الفخر والموعظة والمديح والحماسة والهجاء بينما في مجالات الفلسفة والتشريع ومختلف العلوم بدوا أقل احتفاء منهم بها، وقلما نجد الشعر يقتحم هذه الميادين. ومن هنا كانت لغة القرآن العظيم شيئًا آخر، فالنسق واحد ينتظم مختلف الموضوعات. في الموعظة بناء لغوي محكم، تشبه قوة نسجه في موضوع التشريع أو خلق الإنسان والكون، من غير ضعف في هذا النسج أو ذاك. في البناء اللغوي القرآني عناصر حياة تجعل منه لا يخلق على الآذان سماعه ولا يدب الملل إلى سامعه، لذلك لم نر أديبًا أجاد في المعاني الإسلامية الجديدة إجادة الأديب الجاهلي لمعانيه، لأنَّه لا يمكن التعبير فنيًا عن المعنى الإسلامي الجديد بلغة الجاهلية القديمة، فعليه التخلي عن الثقافة اللغوية الموروثة القديمة والانصهار في الثقافة القرآنية الجديدة، فقد وفرت الصياغات القرآنية زخمًا عاليًا من الثراء اللغوي وكان على الأديب في عصر النبوة التنبه إليه، واقتفاء أثرهن واستثماره بشكل كلي، وليس الوقوف عند حد اقتباس اللفظة أو الجملة من القرآن، وأعني بالشكل الكلي البناء اللغوي المتكامل للنص القرآني القائم على نظام من العلاقات التركيبية التي تعمقت فيها الدلالة بوسائط لغوية انمزج فيها الصوت بالصورة، من غير أن يسمى شعرا. بينما كان الأثر الحقيقي المبكر للقرآن في الكلام العربي جليًا في لسان علي (عليه السلام)، فما وصلنا من كلامه المجموع في (نهج البلاغة) يعد من أظهر تجليات الأثر القرآني

في الأدب العربي لسبب واضح هو أن المعاني الإسلامية ذائبة في نفسه وهي بعد جديدة على غيره. وتعد خطب التوحيد في هذا المجال أوضح دليل على ما نزعم فهي بحد ذاتها تصل إلى مراتب الإعجاز، نحو قوله «فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلَا مُبْطِئَاتٍ، وَلَوْ لَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ وَلَا مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِهِ، وَلَا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ»[٢٢]، فقد استعمل أساليب البلاغة من بيان وبديع بشكل فاعل في تأدية المعنى المراد من غير تكلف ولا تصنع، باتساق نغمي سجعي وجناسي وترادف وتقسيم بديعي بين الجمل، فضلا عن البناء التصويري الفريد المعروف في كلامه (عليه السلام). لاحظ التوازن بين المفردات في قوله «اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ»[٢٣]، الذي أشاع نغمًا صوتيًا مقصودًا من غير إخلال بالمعنى أو قهر على ألفاظه.

ونحو قوله «الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً إِذْ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ»[٢٤]، وقوله: «وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ... فِي لَيْلٍ دَاجٍ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ»[٢٥]. وفي تعبير آخر قال: «فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ، وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ»[٢٦]. ولم يكن السجع عصيًا في الأداء الفني بتعبيرات الإمام عن مختلف المعاني حتى تلك التي توصف بالجدة والدقيقة مثل ذكر الذات

المقدسة وقضايا التوحيد، فكان النبر بالقرائن السجعية عاليا. نحو قوله- فضلًا عما ذكر- من خطبة في التوحيد: «لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ، يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَ أَدَوَاتٍ يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، وَ يَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظ»(٢٧). ومثل قوله: «وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ دَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ وَقَائِمٌ لَا بِعَمَد»(٢٨).

وقال في موضع آخر «وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً، جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ»(٢٩). وذلك لأن من يلد في الأغلب يكون مولودا، وبذلك يفتقر إلى الكمال لأنه سيحتاج غيره فضلًا عن كونه سيحد بحدود المكان والزمان، وكل تلك الصفات تتناقض والإلوهية، وتتقاطع مع الوحدانية. ومن أدواته التصويرية قوله «وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ، وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَالْعِقْيَانِ، وَنُثَارَةِ الدُّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ..»(٣٠). فلفظة (تنفس) استعارة نقلت الجامد إلى الأحياء، واستعار الضحك للأصداف بوصف انفتاح الصدفتين وإسفارهما عن اللؤلؤ الشبيه في بدوه بأسنان الإنسان حال ضحكه «ومن صادف الصدفة عند فتحها وجدها كالإنسان يضحك»(٣١). وتدبر خلق السموات والأرض فقال: «وَكَانَ مِنِ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ، الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَساً جَامِداً، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ»(٣٢). والرتق والفتق معنيان متقابلان: الأول، يعني الضم والالتحام، والآخر، يعني الفصل

بين المتصلين[٣٣]. ويبدو من معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[٣٤] وتأكيد الإمام لها أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ثمَّ فصل الله تعالى بينهما[٣٥]، وقديمًا قالوا: أصل الأجسام الماء والمقصود بالماء هنا الجوهر السائل الذي هو أصل كلِّ الأجسام[٣٦]، وخلقت الأرض من زبده والسماء من بخاره[٣٧]. وتؤكد أحدث النظريات العلمية في نشأة الأرض والسماء هذا المعنى «وذلك أنَّهما كانتا في أول أمرهما ملتصقتين داخل السديم الذي يحتويهما، ثم أنَّهما انفصلتا نتيجة انفجارات شديدة حدثت داخل السديم»[٣٨]. وذكر (عليه السلام) الجبال في خطبته التوحيدية فقال: «وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا»[٣٩]. فجعل الجبال سببًا لسكون الأرض عن ميدانها واضطراب حركتها، في سابقة علمية رائدة، فقد ذكر ابن أبي الحديد «أنَّ هذا القول يخالف قول الحكماء [يعني الجغرافيين والفلكيين]، لأنَّ سكون الأرض عند الحكماء لم يكن لذلك؛ بل لأنَّها تطلب المركز، وهي حاصلة في حيِّزها الطبيعي، لكنَّا وإن كان مخالفًا لقول الحكماء فإنَّا نعتقده دينًا ومذهبًا ونعدل عن قول الحكماء، لأنَّ اتباع قوله (عليه السلام) أولى من اتباع أقوالهم»[٤٠]. وهذا المعنى استفاده من أكثر من موضع في الكتاب العزيز نحو قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾[٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾(٤٢). والرواسي

جمع راسية من رسا إذا ثبت وقرَّ؛ لأنَّ الأرض ترسو بها[٤٣]، والراسي الداخل في الأرض[٤٤].

وهي تعبيرات تصويرية تنقل المعنى من التجريد إلى الحس والمشاهدة في أبهى حلة بيانية.

الخاتمة

نخلص ممَّا سبق من البحث إلى النتائج الآتية:

أولا: من فرائد الإمام علي (عليه السلام) التي تميز بها كلامه قدرة استحضاره للنص القرآني وتمثله شكلًا ومضمونًا.

ثانيا: عالج الإمام علي (عليه السلام) الحقائق التوحيدية معالجة أدبية جديدة.

ثالثا: أتاح عمق المعرفة التوحيدية للإمام (عليه السلام) تأديتها تأدية فنيَّة عالية.

رابعا: كانت لغة الاستدلال المنطقي إحدى آليات الإمام (عليه السلام) في عرض معانيه التوحيدية المعمَّقة.

الهوامش

١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/ ٢٥٣.

٢. المعقول واللامعقول، زكي نجيب محمود: ٣٠.

٣. عبقرية الإمام علي، عباس محمود العقاد: ٤٢.

٤. نهج البلاغة: ٢ / ١١٦ – ١١٧.

٥. المصدر نفسه: ٢ / ١١٦ – ١١٧.

٦. المصدر نفسه: ٢ / ١١٦ – ١١٧.

٧. عبقرية الإمام علي، عباس محمود العقاد: ٤٢.

٨. نهج البلاغة: ٢/ ٦٩.

٩. المصدر نفسه: ١/ ١٨٠.

١٠. المائدة: ١٢٠.

١١. الأنعام: ١٠١.

١٢. الأنفال: ٤٧.

١٣. الشورى: ١١.

١٤. نهج البلاغة: ١/ ٢٦١.

١٥. ظ. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٣/ ٩٠.

١٦. نهج البلاغة: ٢/ ٦٥.

١٧. الكشاف، الزمخشري: ٢/ ٤١.

١٨. نهج البلاغة: ١/ ٤٢٥.

١٩. المصدر نفسه: ٢/ ٦٤.

٢٠. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣/ ٤٨.

٢١. عبقرية الإمام علي، العقاد: ١٨١.

٢٢. نهج البلاغة: ١/ ٤٢٩.

٢٣. المصدر نفسه: ١/ ٤٤٠.

٢٤. المصدر نفسه: ١/ ١٨٢.

٢٥. المصدر نفسه: ١/ ٣٨٥.

٢٦. المصدر نفسه : ١/ ٤٢٩.

٢٧. المصدر نفسه: ٢/ ٧١.

٢٨. المصدر نفسه: ٢/ ٦٤.

٢٩. المصدر نفسه: ٢/ ٧١.

٣٠. المصدر نفسه: ١/ ١٨٥.

٣١. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٢/ ٣٢٧.

٣٢. نهج البلاغة : ٢/ ١٤.

٣٣. ظ. المفردات، الراغب: ١٨٧ – ٣٧١.

٣٤. الأنبياء: ٣٠.

٣٥. ظ. التبيان، الطوسي: ٧/ ٢٤٠. الميزان، الطباطبائي: ١٤/ ٢٧٧.

٣٦. ظ. نهج الحياة، حامد حفني: ١٠٧.

٣٧. ظ. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١١/ ٥٣.

٣٨. القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم: ٦١. ظ. الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم، سليمان عمرقوش:

١١٩- ١٢١.

٣٩. نهج البلاغة: ١/ ١٩٦.

٤٠. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/ ٤٤٧.

٤١. لقمان: ١٠.

٤٢. الأنبياء: ٣١.

٤٣. ظ. الكشاف، الزمخشري: ٤/ ٤. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٩/ ٢٨٠.

٤٤. ظ. التفسير الكبير، الرازي: ٢٢/ ١٦٤.

المصادر

القرآن الكريم.

• الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم، سليمان عمرقوش (الدكتور)، دار الحرمين- الدوحة، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

• التبيان في تفسير القرآن، الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب القصير، المطبعة العلمية- النجف الأشرف، (د ط)، ١٩٥٧ م.

• التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، طهران، ط٢، (د ت).

• الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٥٤هـ- ١٩٣٥م.

• شرح نهج البلاغة، المدائني ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، (د ط)، ١٩٥٩ م.

• شرح نهج البلاغة (المصباح شرح الكبير)، البحراني ابن ميثم (ت: ٦٧٩هـ). مطبعة خدمات، طهران، ط٢، ١٤٠٤ هـ.

• عبقرية الإمام علي، العقاد ،عباس محمود، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، (د ت).

• القرآن وإعجازه العلمي، محمد إبراهيم إسماعيل، دار الفكر العربي ودار الثقافة العربية للطباعة، (د ط)، (د ت).

• الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، (د ط)، ١٩٦٦م.

• المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ).تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت- لبنان، (د ط)، (د ت).

• المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، زكي نجيب محمود، دار الشروق، القاهرة- بيروت (د ط)، (د ت).

• الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، بيروت- لبنان ١٩٧٢ م.

• نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي (ت: ٤٠٦هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت- لبنان، دار الجيل، ط٢، ١٤١٦ هـ.

• نهج الحياة، حامد حفني (الدكتور) وآخرون، طهران، ط١، (د ت).

أدب التوحيد في نهج البلاغة
دراسة أسلوبية

Monotheism Fiction in Nahjul- Balagha

Stylistic study

أ.د. حسن حميد الفياض

جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

قسم اللغة العربية

Prof. Dr. Hassan Hamid Al-Fayyad

University of Kufa \ College of Basic Education

Department of Arabic language

ملخص البحث

تمثلت مباحث التوحيد في كتاب نهج البلاغة عبر خطبه، ورسائله، وسائر كلامه، وهي من الدقة والفصاحة والبلاغة بمكان ينحدر منه السيل ولا يرقى إليه الطير، وقد قرأتها قراءة المتأني، ورددتها ترداد المتأمل، وفتشت بين سطورها فعل الباحث عن ضالته، فما انقشعت دهشتي، ولا تبددت حيرتي، بل ازددت دهشة لدقيق ما فيه من مباحث علم التوحيد، مع كثرة تفصيل دقائقه وغوامضه وهو ما لا ينجلي بتأمل المتأمل، ولا بتدبر المتدبر، بل هو علم من ذي علم، ومشاهدة ببصيرة القلب، وهو القائل (عليه السلام) «أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى، قَالَ: وَكَيْفَ تَرَاهُ؟ قَالَ: لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُوْنُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوْبُ بِحَقَائِقِ الإِيْمَانِ». ويتضح الأمر ببيان أن التوحيد لا يتوصل إليه بمجردة مشاهدة الخلق والتأمل فيه؛ لأن النظر والتأمل يقودان إلى معرفة الخالق والإذعان بوجوده، وهو ما عبر عنه (عليه السلام) بـ «وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمُسَلِّمَةً لَهُ»، وقد بين هذا في موضع آخر بقوله (عليه السلام): «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ». أما التوحيد فيحتاج إلى إقامة الدليل عليه بعد معرفة الخالق، ويتم هذا بالتفكر بدلائل الخلق الذي عبر عنه بلفظ الأسماع؛ لأن السمع دليل على التفكر، فالإنسان العاقل لا يقبل كل ما يسمعه، بل يحيله في خاطره ويتنخّله ليختار لبابه، وقد مدح الله عباده الذين يتفكرون فيما يسمعون ويختارون أحسنه في كتابه العزيز بقوله سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر ١٧ - ١٨]. وقد سعت هذه الدِّراسة إلى تتبُّع أدب التوحيد في نهج البلاغة على وفق مباحث تناولت بها مسارات التوحيد في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) راصدًا أهمّ الأسس التي اعتمد عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) في التقنين للبرهنة على معرفة الخالق وتوحيده.

Abstract

The monotheism researches in Nahjul- Balagha are represented in speeches, letters and words which marked by accuracy, eloquence and rhetoric. I studied it carefully, and I am astonished to what's in it of monotheism researches with a lot of details. It's a science from Allah. About that Imam Ali (pbuh) said: "shall I worship whom could not I see him" They questioned: "how shall you see him?" he answered: "He could not be seen by eyes, he realized by hearts with faith". It's clear that monotheism couldn't be reached on watching creation and meditation, because it leads to knowing the creator. About that Imam Ali said: "He establishes evidences of creation and power which lead brain to him". Also he said "knowing him is the beginning of religion". However monotheism need evidence after knowing the creator which is done by thinking of creation evidences represented by hearing, since hearing is proof of thinking. Allah said "Those who listen to the word, and follow the best (meaning) in it: those are the ones whom Allah has guided, and those are the ones endued with understanding". This study tries to follow monotheism fiction in Nahjul- Balagha on researches deals with monotheism in prince of true believers sayings, observing the most important foundations used by Imam Ali to identify Allah and monotheism.

المقدمة

الحمد لله استتمامًا لنعمته، واستسلامًا لعزَّته، واستعصامًا من معصيته، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

ليس من شكٍّ في أنَّ كتاب نهج البلاغة قد تسنَّمَ أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة والجمال، بعد القرآن الكريم وكلام النبيِّ (صلى الله عليه وآله)، وانحدر منه سيل من المعارف والعلوم لم تتهيأ لأحدٍ غير عليٍّ (عليه السلام)، بما اختطه لنفسه من اتّباع أثر القرآن الكريم والنبي العظيم (صلى الله عليه وآله)، ولا ريب في أنَّ من أهم العلوم وأدقّها علم التوحيد؛ إذ تبتني مباحثه على وجود الخالق- سبحانه-، وتوحيده، ونفي صفات المخلوقين عنه، وغيرها من المباحث، وفي كلِّ ذلك دقيق من التوصيف والتفريع والاستنباط.

وتقع أهمية هذا البحث في الحاجة الماسة إلى الرجوع للمنابع الصافية في توحيد الله -سبحانه- بعد أن برزت ظواهر إلحادية لأسباب كثيرة قد لا يكون الفكر أهم دوافعها، ولكنها بشكل عام تتكلّ على بعض الشبهات والمغالطات التي تتمظهر بمظهر الفكر، والتي يسهل فيها اصطياد بعض الشباب التي لم تقوَ عقيدته، ولم يتمترس بفهم قويم لآي الكتاب المبين، ولا بفقه دقيق لكلام النبي وآله الأطهار الذين هم دعائم التوحيد الخالص.

وقد اختط البحث لنفسه استقراء كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، واستجلاء المفاهيم التي أوردها في كلامه عن التوحيد بما ضمّه بين جنبيه كتاب (نهج البلاغة)، وقد أحسن الشريف الرضي جامع الكتاب في وصفه هذا النحو من العلم بقوله في آخر مقدمته: «وَيَمْضِي فِي أَثْنائِهِ مِنْ

عَجيبِ الكَلامِ فِي التَّوحيدِ وَالعَدْلِ، وتَنْزيهِ اللهِ سُبحانَهُ عَنْ شَبَهِ الخَلقِ، مَا هُوَ بِلالُ كُلِّ غُلَّةٍ، وَشَفاءِ كُلِّ عِلَّةٍ، وَجَلاءِ كُلِّ شُبْهَةٍ».

وانتظم البحث في تمهيد بيّن (المعرفة التوحيدية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ثم تتابعت ثلاثة مباحث عن (وجود الخالق)، و(توحيد الخالق)، و(التوحيد وأسلوب النفي). وانتهى بالنتائج، ثم ثبت المصادر.

وأفاد البحث بعد كتاب (نهج البلاغة) من مجموعة من المصادر المتنوعة في علم الكلام، والتفسير، والتاريخ، واللغة، والصوت، والبلاغة، وغيرها.

والحمد لله أولًا وآخرًا وصلى الله على محمد وآله.

التمهيد

المعرفة التوحيدية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

نشأ علي (عليه السلام) في كنف رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد رعاه النبي وأحاطه بعنايته مذ كان رضيعًا، فقد كان يدعو فاطمة بنت أسد (عليها السلام) أن تضع مهد علي (عليه السلام) إلى جوار فراشه ليحدثه ويناغيه[1]، وكبر علي (عليه السلام) وقد امتلأت روحه بأنفاس رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلزمه ولم يكن يفارقه، وقد وصف الإمام (عليه السلام) حاله مع رسول الله ومنزلته منه بقوله (عليه السلام):

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ، يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ (صلى الله عليه وآله) مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ

وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً، وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي»[٢].

وفي هذا الكلام بيان شافٍ لمن ألقى السمع وهو شهيد، فلقد كان اختيار رسول الله (صلى الله عليه وآله) له اختيارًا قصديًّا منذ البداية، ولم يكن لعارض أو أزمة[٣]. فنشأ علي (عليه السلام) في حجر النبي يسمع ترانيم الوحي، ويردد آيات القرآن، ويتلقى معارفه وأحكامه من النبي بالتفاصيل الدقيقة، ولم يفارق رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى بعد زواجه بفاطمة (عليها السلام)، إذ كان بيته إلى جوار بيوت النبي في المسجد النبوي الشريف، وكان يرصد له في الليل جزءًا من وقته يغذيه فيه بالعلوم والمعارف التي أودعها الله عنده[٤]، وبقيا على ذلك حتى التحق النبي (صلى الله عليه وآله) بالرفيق الأعلى.

وقد حبا الله عليا (عليه السلام) بالمواهب والمزايا المتنوعة التي أهلته لأن يكون رافع راية الإسلام الحقّ، والمنافح عنه بالفكر والسيف، وحسبك من ذلك أنَّه كان الأذن الواعية التي ذكرها الله -سبحانه- في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[٥]، وكان أقضى الأمة[٦]، وباب مدينة علم النبي (صلى الله عليه وآله)[٧]، فكانت معرفته التوحيدية نابعة من كتاب الله الكريم، ومما أفاضه عليه ابن عمّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بطول ملازمته له، فضلًا عمَّا عرف عنه من طول تأمله وعميق تفكره، وقد أشار إلى ذلك في جوابه لبعض سائليه: «فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَأَتَمَّ بِهِ، وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ؛ فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ

مُنْتَهَى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ»[٨].

فظهر من كل ذلك علمه بتوحيد الله -سبحانه-، ولقد كان من دقيق وصفه، وكثرة ما يذكره من التفاصيل أن جعل كثيرًا من الناس يحارون في أمره، حتى ظنّ بعضهم أنَّه قد رأى ربَّه، ويكشف لنا النص الآتي في نهج البلاغة عن دهشة الناس من وصف عليٍّ ربَّه، فقد سأله ذعلب اليماني*: «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ (عليه السلام): أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى، فَقَالَ: وَكَيْفَ تَرَاهُ؟ فَقَالَ: لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ؛ وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَابِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ، مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ، لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ، تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ»[٩].

فالدهشة والحيرة بادية في سؤال ذعلب اليماني، (هل رأيت ربَّك... وكيف تراه؟)، وجاء الجواب بذكر صفات تؤكد أنَّ الرؤية لا تكون إلا بإدراك القلوب، لما فيها من التضاد، والتخالف والتباعد بين الصفة وشبهها من صفات البشر التي تدرك بالعيون.

ولم يكن لأحدٍ غير أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) مثل هذه المعرفة؛ إذ لم يظهر على لسان أحدٍ من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم ما جاء على لسانه من علم التوحيد سعةً، ودقّةً، وتفصيلًا، حتى صدح بذلك غير واحد من أهل التحقيق قديمًا وحديثًا، ومن أولئك ابن أبي الحديد في شرحه نهج البلاغة، فقال في شرح بعض فصول التوحيد من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام): «واعلم أنَّ هذا الفن هو الذي بان به أمير المؤمنين

(عليه السلام) عن العرب في زمانه قاطبةً، واستحقَّ به التقدم والفضل عليهم أجمعين... ومعلوم أنَّ هذا الرجل انفرد بهذا الفن، وهو أشرف العلوم؛ لأنَّ معلومه أشرف المعلومات، ولم ينقل عن أحدٍ من العرب غيره في هذا الفنِّ حرفٌ واحد»[10].

ومن أولئك الأستاذ محمد أمين النواوي في حديثه عن نهج البلاغة، إذ يقول: «لقد كان عليٌّ في خطبه المتدفقة يمثِّل بحرًا خضمًّا من العلماء الربانيين، وأسلوبًا جديدًا لم يكن إلا لسيد المرسلين، وطرَق بحوثًا من التوحيد لم تكن تخضع في الخطابة إلَّا لمثله، فهي فلسفة سامية لم يعرفها الناس قبله، فدانت لبيانه، وسلست لمنطقه»[11].

وأشار إلى ذلك الأستاذ عباس محمود العقاد في عبقريته قائلًا: «في كتاب نهج البلاغة فيض من آيات التوحيد والحكمة الإلهية، تتَّسع به دراسة كل مشتغل بالعقائد، وأصول التأليه وحكم التوحيد»[12].

وخلاصة الأمر: أنَّ معرفة الإمام أمير المؤمنين التوحيدية تشكلت من القرآن الكريم، والنبي العظيم، وما استصفاه من دقيق فكره ورائق تأمُّله، فضلًا عمَّا وهبه الله إيَّاه بوصفه وصيّ النبيّ والقائم مقامه من بعده.

المبحث الأول: وجود الخالق

أول ما يبحث عنه في علم التوحيد هو وجود الخالق، وهو مقدمة لهذا العلم؛ إذ لا معنى لتوحيد الخالق من دون إثبات وجوده، وقد سلك المتكلمون في ذلك سبلًا عدّة، كان أقربها إلى الفطرة، وأوضحها في الأذهان هو (برهان النظم)؛ لأنَّه «يتجاوب مع جميع العقول على اختلاف سطوح تفكيرها»[13]، ويقوم هذا الدليل باختصار على أنَّ (الاهتداء إلى وجود الله -سبحانه- يكون عن طريق مشاهدة النظام

الدقيق البديع السائد في الكون)[١٤]، ويحتاج هذا البرهان إلى مقدمات أربع:

الأولى: إنّ ما يتصوره الإنسان في ذهنه له واقع خارجي، وما موجود في ذهن الإنسان هو انعكاس لذلك الواقع.

الثانية: إنَّ عالم الطبيعة خاضع لنظام محدد، وإنَّ كل ما في الكون لا ينفك عن النظم والسنن التي كشفت العلوم الطبيعية عن بعضها.

الثالثة: أصل العليَّة، ويعني أنَّ تكوّن الشيء بلا مكوّن، وتحقّقه بلا علّة أمر محال لا يعترف به العقل.

الرابعة: إنَّ دلالة الأثر تتجلَّى بصورتين:

(أ) وجود الأثر يدل على وجود المؤثِّر، على نحو ما نقل عن أعرابي قوله: البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام يدل على المسير.

(ب) إنَّ لدلالة الأثر بعدًا آخر هو الكشف عن خصوصيات المؤثِّر من عقله وعلمه وشعوره، فوجود بناء جميل ومفيد يدلُّ على وجود بنَّاءٍ عاقلٍ عالمٍ بما تحتاجه صنعته، في حين لا نجد هذه الصفات للسيل الذي يجرف مواد البناء نفسها ليلقيها بعيدًا متجمعة أو مشتتة، على الرغم من أنَّ كلاً منهما (البنّاء والسيل) أثّر في مواد البناء نفسها[١٥].

وقدد تردد هذا البرهان في كثيرٍ من آيات القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١٦]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ

رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[17]، وغيرهما كثير.

وقد انتهج الإمام علي (عليه السلام) هذا النهج في خطبه التوحيدية، فتكرر عنده الاحتجاج لوجود الخالق -سبحانه- ببرهان النظم، وكان ممَّا جاء فيها قوله (عليه السلام): «زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ»[18].

فقد انتظم برهانه بما عرف عنه من بلاغة عالية، تتمازج فيها رصانة التركيب بعمق الدَّلالة في إطار من الموسيقى الموحية؛ إذ حقق السجع المتوازي -وهو أن يراعى في الكلمتين الوزن وحرف السجع[19] -في النص وظيفةً دلاليةً تتعاشق مع البعد الصوتي لإحداث أثرٍ فاعلٍ في المتلقي، ويتحقق ذلك بهيئة الفاصلة وصوتها، وتتركز بؤرة النص في الجملتين الأخيرتين اللتين تنتهيان بالسجعتين (بانٍ ... جانٍ)، فقد كشف فيهما عن برهان النظم، وهو الدليل الذي تقوم عليه جلّ محاولات اثبات وجود الصانع -جل شأنه-، وقد نسج هذا الدليل بأسلوب الاستفهام الإنكاري في بنية جمعت في دلالتها بين طرفين جامعين لكلِّ أبعاد الأثر والمؤثر على النحو الآتي:

وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ كل أثر عظيم له مؤثر.

أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ كل أثر حقير له مؤثر.

وكان التنكير الظاهر في الجملتين دالًّا على العموم، فلا مناص من الاعتراف بوجود الخالق لهذا الكون ما دام لا ينفك أثر جليلا كان أم

حقيرا عن مؤثره.

وقد جاءت فاصلتا السجعتين (بانٍ، جانٍ) على هيئة اسم الفاعل المنقوص في ختام جملتي الاستفهام الانكاري للكشف عن اضطرار الأثر إلى مؤثره وإن كان غائبًا عن المشاهدة لاستشعار الحاجة إليه، فجاء تعويض الحرف المنقوص بالتنوين دلالة على حضور الغائب الذي زعموا عدم وجوده لتناهي حسَّهم دونه.

وجاء المقطع الصوتي لفاصلتي السجع في الجملتين على هيئة مقطع طويل مديد مقفل بصامت[٢٠] -في حالة الوقف- (بانْ، جانْ) بعد ثلاثة مقاطع صوتية مكررة، اثنان منها طويلان مغلقان متتاليان (منْ، غيْ) يمثلان وقفتين صوتيتين تفسحان المجال لمقطعٍ ثالثٍ قصير منفتح (رِ)[٢١] ليهيئ المتلقي للتأثر بمد الصوت للمقطع الصوتي للسجعتين الباعث على التنبه والتفكر، وقد كان لصوت النون بوصفه صوتًا مجهورًا مرققًا[٢٢] رنَّة موحية تتعاشق مع المدّ لإحداث الأثر المطلوب.

لقد كان اختيار الأصوات بصفاتها ومقاطعها في فواصل السجع مترابطًا مع نسج الدَّلالة المقصودة في الاستدلال على الخالق -سبحانه- ولم تقف عند حد إحداث الأثر الفني والاستمتاع به.

وإذا كان للمستوى الصوتي أثره الفاعل في الاستدلال على وجود الخالق في النَّص السابق فإنَّنا نجد في نصٍّ آخر أثر المستوى التركيبي واضحًا جليًّا؛ إذ بنى الإمام نصَّه على نحوٍ تصاعديّ مستعينًا بزمن الفعل وما أسند إليه من الضمائر؛ ليقود المتلقي إلى النتيجة التي رسمها له، نرى ذلك في قوله (عليه السلام): «**وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وَخَافُوا**

عَذَابَ الْحَرِيقِ؛ وَلَكِنِ الْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ وَالْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ. أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ؟ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ. انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا، تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وَفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا، مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا، لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ، وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ. وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا فِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ. وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ؛ لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ، وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ»[٢٣].

في هذا النص خمس فقرات متتابعات متسلسلات، انتقل فيها الخطاب متدرجًا من العموم إلى الخصوص، ومن السعة والشمول إلى الدقة والتقييد، ومن الغيبة إلى الحضور في التفات يجعل الوعي حاضرًا والفكر عاملًا للخلوص إلى النتيجة المقصودة التي قاد العقول إليها، فقد نظَّم أمير المؤمنين (عليه السلام) خطابه بذهن وقَّاد، ودقةٍ عاليةٍ، وبناءٍ متينٍ ليهيئ المتلقي للانتقال في فكره برشاقةٍ وسلاسة إلى ما قاده إليه، وقد تمثَّل هذا البناء على النحو

الآتي:

بدأ المقطع الأول من النص بقوله (ولو فكَّروا)؛ إذ أسند الفعل الماضي إلى جماعة الغائبين، وجعل مورد التفكير عامًا (فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ...)، مستعملاً التركيب الاسمي الدال على الثبوت والدوام؛ ليكون ناتج الدَّلالة (لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ)، بيد أنَّ هذه الثمرة من التفكر لا تجنى؛ لأنَّ (الْقُلُوب عَلِيلَة وَالْبَصَائِر مَدْخُولَة)، في إشارة جميلة إلى ضرورة إعمال الفكر للوصول إلى الغاية التي سيقود المتلقي إليها.

إما المقطع الثاني فبدأه بالتفات من الماضي إلى المضارع مع إسناد الفعل إلى جماعة الغائبين الغافلين (ألا ينظرون)، وكان مورد النظر أخصَّ من المقطع الأول (إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ)، فاستعمال الفعل (ينظرون) بمادَّته وهيأته أوفق مع السياق من استعمال الأفعال الدالة على التفكر، لأنَّ المورد يدعو إلى مشاهدة الخلق، والتأمل فيه، ويخص صغار الخلق لأنَّه أدعى للعجب والدهشة، وليهيئ المتلقي للانتقال إلى المقطع الآتي.

بدأ المقطع الثالث بالالتفات من الغيبة إلى الحضور صادمًا لغفلة المتلقين بالخطاب المباشر إلى جماعة الحاضرين (انظروا)، وليكون مورد النظر أخصَّ ممَّا سبق «**إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا؟ تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا، تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وَفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا، مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا**».

ليكشف عن ملاحظة دقيقة لحياة

كائن حيٍّ لا يأبه له الناس، ولا يقيمون له وزنًا، فيدعوهم بالخطاب المباشر إلى النظر والتأمل والاعتبار؛ ليكون ناتج الدلالة (لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ، وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ)، لينهي في هذا المقطع مرحلة النظر والتأمل، ويفتح الباب أمام التفكر في المقطع الرابع.

يبدأ هذا المقطع بالتفات ثالث من جماعة المخاطبين إلى المخاطب المفرد باستعمال الفعل (فكّرتَ) المسند إلى تاء الفاعل المفتوحة، ليفسح المجال أمام المتلقي لإعمال فكره من دون إكراه بدلالة أسلوب الشرط غير الجازم (لو)، وليقوده برفق إلى مورد التفكر «فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، فِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا»، وهو ما لا يلحظ ببصر، ولا ينال إلا بالتفكر ولذا ناسبه استعمال الفعل (فكّرت)؛ لكون المورد أكثر خصوصية ودقة من كلِّ ما مرَّ سابقًا، ليصل به إلى جواب الشرط «لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً»، وليقود المتلقي إلى نتيجة الدلالة للمقاطع الأربعة السابقة «فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا»، وهو ناتج برهان النظم القائم على إثبات وجود الخالق من مشاهدة خلقه والتأمل فيه، وليفتح الباب أمام إثبات توحيده في المقطع القادم بختام هذا المقطع بقوله: «لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ».

أما المقطع الخامس الذي هو ختام النص موضع البحث فقد بدأه بتأكيد الحضور في ذهن المتلقي، وإدامة التفكر بعمق وتحقيق، متوسلًا إلى ذلك بأسلوب الشرط غير الجازم مع ما يتبعه من جملة الشرط «وَلَوْ

ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ»، ليؤشر إلى أنَّ ناتج الدَّلالة في جواب الشرط يحتاج إلى أبعد من النظر والتأمل؛ لأنَّه قائم على القياس والاستنباط الناتجين عن عمق التفكر وقوة الربط، ليؤدي إلى «مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ»، ليعلن الغاية من التفكر في الخلق وهو الوصول إلى توحيد الخالق بعد أن قادت مشاهدة الخلق إلى معرفة الخالق، فالتوحيد نتيجة لا تنال إلا بإعمال الفكر، وهو ما دعا الإمام (عليه السلام) إلى تعليل هذه النتيجة بقوله: «لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ، وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ».

لقد كشف لنا النص السابق بمقاطعه الخمسة عن تسلسلٍ فكريٍّ متقنٍ وتدرج أسلوبي رفيع في عرض موضوع الخطاب، بدأ من عموم النظر لينتهي إلى دقة الفكر، ولينقل المتلقي إلى الوصول إلى النتيجة المتوخاة بسلاسة وترابط، وليسجل علو كعب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في بلاغة الخطاب، وتفرده في عرض دقائق الفكر وغوامض العلم بعرض أدبي رشيق، وأسلوب خطابي شيِّق.

المبحث الثاني: توحيد الخالق

يحتاج التوحيد إلى مستوى أعلى من التفكر للاستدلال عليه، وهو ما لحظناه في المقطع الأخير من النص السابق؛ إذ احتاج فيه إلى المقايسة، والمقارنة، والاستنباط للوصول إليه، في حين كان مشاهدة الخلق والتأمل فيه كافيان للقول بوجود الخالق.

وقد بيّن الإمام (عليه السلام) ذلك مستعينا ببعض ألوان البيان العربي، وهو ما يدخل ضمن المستوى الدَّلالي في قوله (عليه السلام): «ابْتَدَعَهُمْ خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ

وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ، وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمَسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ»[٢٤].

فقد جازت لفظة (نَعَقَتْ) معناها الذي دلت عليه في الدَّلالة الظاهرة إلى معنى عميق بإسنادها إلى غير ما تسند له في معناها المعجمي، فالنعيق صوت الراعي حين يصيح بغنمه[٢٥]، وهنا أسندت إلى أمر معنوي (دلائل) على نحو الاستعارة المكنية التخيلية، إذ شبهت الدلائل بالراعي حال صياحه بغنمه زجرًا على نحو التخييل، وحذف المشبَّه به (الراعي)، وبقي المشبَّه (الدلائل) وعملية التخييل؛ لرسم صورة في غاية الروعة فنًّا، ودقة الدلالة معنى.

ويتضح الأمر ببيان -كما مرّ سابقًا- أنَّ التوحيد لا يتوصل إليه بمجردة مشاهدة الخلق والتأمل فيه؛ لأنَّ النظر والتأمل يقودان إلى معرفة الخالق والإذعان بوجوده، وهو ما عبَّر عنه (عليه السلام) بـ «وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمَسَلِّمَةً لَهُ»، وقد بين هذا في موضع آخر بقوله (عليه السلام): «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ»[٢٦].

أما التوحيد فيحتاج إلى إقامة الدليل عليه بعد معرفة الخالق، ويتم هذا بالتفكر بدلائل الخلق الذي عبر عنه بلفظ الأسماع؛ لأن السمع دليل على التفكر، فالإنسان العاقل لا يقبل كل ما يسمعه، بل يجيله في خاطره وينخله ليختار لُبابه، وقد مدح الله عباده الذين يتفكرون فيما يسمعون ويختارون أحسنه في كتابه العزيز بقوله سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[٢٧].

ويأتي جمال هذه الصورة الاستعارية التي رسمها أمير المؤمنين (عليه السلام) من وجوه عدة على النحو الآتي:

١. اختيار الاستعارة المكنية التخيلية أريد به الإشارة إلى أنَّ توحيد الخالق لا يوصل إليه إلا بإعمال الفكر، مثلما هي الاستعارة المكنية التخيلية تحتاج إلى تأمُّلٍ في اقتناصها.

٢. اختيار الجمع (دلائل) لبيان أنَّ أدلة التوحيد كثيرة، وهو أمر لا يتعارض مع ما ذكر في النقطة السابقة؛ لأنَّ الخلل في العقول لا في الدلائل، وهو ما ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[٢٨].

٣. اختيار الفعل (نعقت) بأصواته الثلاثة المجهورة[٢٩] يشير إلى أنَّ دلائل التوحيد من الوضوح بمنزلة صوت الراعي الزاجر لغنمه، وأنَّ غفلة العباد عنها كغفلة الغنم التي لا تستفيق إلَّا بزجر صاحبها المدبِّر لشأنها، وكذلك دلائل التوحيد أقامها صاحبها المدبِّر لخلقه، الرحيم بهم زجرًا لهم عن الغفلة عنه.

٤. أدَّت الصورة الاستعارية وظيفتها الفنية على النحو الذي أدَّت به وظيفتها الدَّلالية في بيان الفكرة التي أراد الإمام (عليه السلام) عرضها، وفي الأثر المتوخَّى منها لدى المتلقي.

المبحث الثالث:
التوحيد وأسلوب النفي

رصد البحث شيوع أسلوب النفي في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في التوحيد بما يشكل مهيمنة أسلوبية تستدعي الوقوف عندها، والبحث عن أسبابها، فقد تكرر أسلوب النفي في إحدى خطبه (٩٧) مرة[٣٠]، وتكرر في خطبة أخرى (٩٢) مرة[٣١]،

ولا تكاد تخلو خطبة ولا كلام له (عليه السلام) في التوحيد من ظهور النفي فيها، حتَّى قصار كلمه، فقد سُئل يومًا عن التوحيد فأجاب (عليه السلام): «التَّوْحِيدُ أَنْ لا تَتَوَهَّمَهُ»(٣٢).

لقد دعاني هذا التكرار الذي شكل ظاهرة جلية، ومهيمنة أسلوبية إلى البحث عن أبعاده النفسية والعقدية، هذه الأبعاد التي تنصهر عند أمير المؤمنين (عليه السلام) في بوتقة إيمانية واحدة تصدر عنها كلُّ خلجاته وأفكاره ورؤاه، ويعبِّر عنها بأقواله وأفعاله، ويبدو لي أنَّ مرجع ذلك هو ما كان يعرف عن عليٍّ (عليه السلام) من توحيد الله الخالص عن كلِّ شائبة.

والسؤال هنا كيف يكون التوحيد الخالص سببًا لشياع أسلوب النفي في كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)؟.

الجواب يظهر في كلامه (عليه السلام) في أول خطب نهج البلاغة، وهو يتحدث عن توحيد الخالق على النحو الآتي:

«أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ؛ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ»(٣٣).

فالتوحيد الخالص عند أمير المؤمنين (عليه السلام) يكون بنفي الصفات عن الله -سبحانه- لأن «مَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّه»(٣٤).

إن الصفات التي نزَّه أمير المؤمنين (عليه السلام) ساحة الحق عنها بنفيها عنه سبحانه هي صفات المخلوقين، فقد جاء في وصفه الملائكة الذين

هم أعلم خلق الله به وأخوفهم له وأقربهم منه[٣٥] قوله: «لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ»[٣٦].

إنَّ نفي الصفات أساس التوحيد الخالص عند أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولعمق هذا الاعتقاد في كيانه كله ظهر جليًّا في كلامه عن توحيد الله، فكان شيوع أسلوب النفي مردَّه إلى هذا الاعتقاد الخالص، ليكشف عن وعي عميق، وحضور ذهني عالٍ، وتمازج عجيب بين اعتقاد المنشئ العميق في نفسه وكلامه بوصفه مظهرًا تعبيريًا عنه.

ومن النصوص التي ظهر أسلوب النفي فيها جليا قوله (عليه السلام):

«كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ، فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ، أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا، وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا، وَلَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا»[٣٧].

ومنها قوله (عليه السلام):

«لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ وَلَا تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ، سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ وَالِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ، عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ»[٣٨].

ومنها قوله (عليه السلام):

«لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ وَالْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ، خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ وَوَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ، حَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا، لَا تُقَدِّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا يُقَالُ لَهُ مَتَى

وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى، الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ مِمَّ وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ فِيمَ، لَا شَبَحٌ فَيُتَقَصَّى وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى، لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ»[٣٩].

الخاتمة

اجتنى البحث مجموعة من الثمار على النحو الآتي:

• إنَّ الإيمان بالخالق تقوده إليه الفطرة السليمة بمشاهدة شواهد الخلق، ولا يحتاج إلى عمق في التفكير.

• يترتب على ذلك أن عدم الإيمان بوجود الخالق مردّه إلى انحراف عن الفطرة وصفه الإمام بقوله: «الْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ وَالْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ».

• إن برهان النظم هو أكثر البراهين احتجاجًا به على وجود الخالق؛ لأنَّه قائم على إثبات الخالق بمشاهدة آثاره، وقد استعمله الإمام بطريقة دقيقة وجميلة موظِّفًا الصوت توظيفًا فعالًا.

• توحيد الخالق لا بدّ له من تدبّر وتفكير أعمق، فهو مرحلة بعد إثبات وجوده، ويحتاج إلى إقامة الدلائل عليه، وقد رتبه الإمام منطقيًّا بقوله: «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ».

• ظهور النفي في الخطب التوحيدية بما يمثل مهيمنة أسلوبية، وقد جاء في بعض الخطب بشكلٍ لافت؛ إذ تكرر في خطبة الأشباح (٩٧) مرّة، و(٩٢) مرّة في خطبة أخرى.

الهوامش

١) ينظر: كشف الغمة في معرفة الأئمة، الإربلي ١/ ٦١. وبحار الأنوار، المجلسي ٣٥/ ٩. والصحيح من سيرة الإمام علي، جعفر مرتضى العاملي ١/ ١١١.

٢) نهج البلاغة، تحقيق قيس العطار ٤٠١- ٤٠٢.

٣) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام ١/ ١٦٢. وتاريخ الطبري ٢/ ٥٧- ٥٨. وبحار الأنوار، المجلسي ٣٥/ ٢٤- ٢٥. وقد ورد فيها أنَّ أزمة اقتصادية ضربت قريشًا ممَّا دفعت النبي أخذ علي بعد أن بلغ مرحلة التمييز من عمِّه أبي طالب؛ للتخفيف عنه لكثرة عياله، وهي لا تتوافق مع ما أوردته عن علي في المتن، فضلًا عن أنَّها غير مقنعة؛ لكونها ذكرت طالبًا وعقيلًا وجعفرًا ضمن عيال أبي طالب، وهم جميعًا قد بلغوا مرحلة الرجولة. وقد ناقشها مستفيضا الدكتور صلاح الفرطوسي في كتابه (وما أدراك ما علي) بما يفنِّد أن يكون الأمر بسبب فاقة أو أزمة اقتصادية. ينظر ١/ ٧٥- ٨٢.

٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦/ ٢١٧. وبحار الأنوار، المجلسي ٣٢/ ١٦٩. ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الخوئي ٥/ ٣١٧.

٥) ينظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٢/ ١٢١. وتفسير الطبري ٢٩/ ٦٩. والكافي، الكليني ١/ ٤٢٣. وتفسير فرات الكوفي: ٤٩٩. والتبيان في تفسير القرآن، الطوسي ١٠/ ٩٨. وأسباب النزول، الواحدي النيسابوري: ٢٩٤. وشواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ٢/ ٣٦٣. وروضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ١٠٥. ومجمع البيان، الطبرسي: ١٠/ ١٠٨. والدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ٦/ ٢٦٠. وفيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: ٣/ ٦٠. والآية هي ١٢ من سورة الحاقة.

٦) ينظر: شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي: ١/ ٩١. وكشف الخفاء، العجلوني: ١/ ١٦٢.

٧)ينظر: مناقب الإمام أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي: ٢/ ٥٥٨. والإرشاد، الشيخ المفيد ١/ ٣٣. والأمالي، الشيخ الصدوق: ٦٥٥. والمناقب، للخوارزمي: ٨٢.

٨) نهج البلاغة: ١٦١.

٩) المصدر نفسه: ٣٤٢.

* من أصحاب أمير المؤمنين، وكان ذرب اللسان، بليغًا في الكلام، شجاع القلب. تنظر ترجمته في أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٦/ ٤٣١.

١٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩/ ٢٥٦- ٢٥٧.

١١) مصادر نهج البلاغة وأسانيده، عبد الزهراء الحسيني: ١/ ١١١، نقلا عن جولات إسلامية: ٩٩ وما بعدها.

١٢) عبقرية الإمام علي، عباس محمود العقاد: ١٩٤.

١٣) محاضرات في الإلهيات، الشيخ جعفر السبحاني: ١٥.

١٤) المصدر نفسه: ١٥.

١٥) الإلهيات، الشيخ حسن محمد مكي العامليك: ٣٣- ٣٧.

١٦) سورة البقرة: ١٦٤.

١٧) سورة الغاشية: ١٧- ٢٢.

١٨) نهج البلاغة: ٣٦١.

١٩) معجم التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٠١.

٢٠) ينظر: علم الأصوات اللغوية، د. مناف مهدي الموسوي: ١٢١.

٢١) ينظر: المصدر نفسه.

٢٢) ينظر: المصدر نفسه ٧٤.

٢٣) نهج البلاغة: ٣٥٩- ٣٦٠.

٢٤) المصدر نفسه: ٣١٢.

٢٥) معجم مقاييس اللغة مادة: ن ع ق.

٢٦) نهج البلاغة: ٤٥.

٢٧) سورة الزمر: ١٧- ١٨.

٢٨) سورة يوسف: ١٠٥- ١٠٦.

٢٩) ينظر: علم الأصوات اللغوية: النون ٧٤، القاف ٨٣، العين ٨٤.

٣٠) ينظر: نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٦، ٣٦٣- ٣٧٠.

٣١) ينظر: المصدر نفسه خطبة الأشباح: ١٥٩- ١٧٨.

٣٢) نهج البلاغة: ٧٢٦.

٣٣) المصدر نفسه: ٤٥- ٤٦.

٣٤) المصدر نفسه: ٤٦.

٣٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٠.

٣٦) المصدر نفسه: ٤٨- ٤٩.

٣٧) المصدر نفسه: ٤٦.

٣٨) المصدر نفسه: ٣٦٣.

٣٩) المصدر نفسه: ٣٠٧.

المصادر

• القرآن الكريم.

• الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت: ٤١٣ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

• أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط) ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

• أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (ت: ١٣٧١ هـ)، تحقيق وتخريج حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، (د ط)، (د ت).

• الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، الشيخ حسن محمد مكي العاملي، محاضرات الشيخ جعفر السبحاني، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

• الأمالي، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت: ٣٨١ هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية- مؤسسة البعثة، ط١، قم ١٤١٧ هـ.

• أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت: ٢٧٩ هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤٩٣هـ- ١٩٧٤م.

• بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ)، الناشر مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

• تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، مراجعة وتصحيح وضبط نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (د ط)، بيروت- لبنان.

• التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ.

• تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

• تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي (ت: ٣٥٢هـ)، تحقيق محمد كاظم، ط١، طهران، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

• الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، (د ط)، (د ت).

• روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري (ت: ٥٠٨ هـ)، منشورات الشريف الرضي- قم (د ط)، (د ت).

• السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت: ٢١٨ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، (د ط)، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م.

• شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي النعمان المغربي (ت: ٣٦٣ هـ)، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلالي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢، ١٤١٤هـ.

• شرح نهج البلاغة، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني (ت: ٦٥٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٩م.

• شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحافظ عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني (ت: ق٥هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، ط١، ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م.

• الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام)، السيد جعفر مرتضى العاملي، مطبعة دفتر تبليغات إسلامي، ط١، ١٤٣٠ هـ.

• عبقرية الإمام علي، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، (د ط)، ١٩٦٧.

• علم الأصوات اللغوية د. مناف مهدي الموسوي، دار الكتب العلمية- بغداد، ط٣، ١٤١٩هـ- ٢٠٠٧م.

• فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

• الكافي- الأصول، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الشيخ الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، المطبعة حيدري، طهران، ط٥، ١٣٦٣هـ ش.

• كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، اسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني (ت: ١١٦٢ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤٠٨هـ-

١٩٨٨م.

• كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن أبي الفتح الإربلي (ت: ٦٩٣ هـ)، دار الأضواء، بيروت- لبنان، (د ط)، (د ت).

• مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي تحقيق: لجنة من العلماء (ت: ٥٤٨ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

• محاضرات في الإلهيات، الشيخ جعفر سبحاني، تلخيص الشيخ علي الرباني الكلبايكاني، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، (د ط) (د ت).

• مصادر نهج البلاغة وأسانيده، عبد الزهراء الحسيني الخطيب، نشر دار الزهراء، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

• معجم التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ)، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، (د ت).

• معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي، (د ط) ١٤٠٤هـ.

• المناقب، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي (ت: ٥٦٨ هـ)، تحقيق الشيخ مالك المحمودي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢، ١٤١٤هـ.

• مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، محمد بن سليمان الكوفي، من أعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مطبعة النهضة، قم، ط١، ١٤١٢هـ.

• منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت: ١٣٢٤ هـ)، تحقيق سيد إبراهيم الميانجي، المطبعة الإسلامية، إيران- طهران، (د ط)، (د ت).

• نهج البلاغة، تحقيق: قيس بهجت العطار، مؤسسة الرافد للمطبوعات، قم، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

• وما أدراك ما علي، الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي، ضمن إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة، (د ط)، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

إبطال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)
عقيدة الديانات الثنوية – دراسة تحليلية

Nullification of dualism buy Imam Ali (pbuh)

analytical study.

أ. م. د. وليد عبد الحميد خلف

جامعة الكوفة / كلية الفقه

Assist. Prof. Dr. Walid Abdel Hamid Khalaf

University of Kufa \ College of Faqih

ملخص البحث

بعدما تولى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الخلافة قصد بثقله العراق لتصحيح المسيرة ووئد الفتنة، وإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وقد واجه شبهات عقدية في العراق بعضها متوطن من ديانات بلاد وادي الرافدين السابقة، وبعضها وافد من ديانات بلاد فارس والهند.

وفي أرض العراق التي تعاقبت عليها الأديان وامتزجت فيها الفلسفات وتلاقحت عندها الأفكار، كشف بأقوال وخطبه ورسائله وأدعيته ومحاوراته الشبهات وأزال اللبس وبين المجمل وأظهر الحق، وفنَّد أصول الديانات الثنوية ومقولات الفلاسفة ورؤى المشككين بالدليل الدامغ والحجة البينة.

وفي عالمنا المعاصر تتجدد اليوم فلسفات ورؤى، وتثار شبهات معرفية وإشكاليات فكرية، قديمة في مضمونها معاصرة في صياغتها وأسلوبها، كانت ولا زالت أصولًا ومبادئ في ديانات بعضها اندثر وبعضه لا زال باقيًا بعد تطور وتجدد، ومن ذلك عقيدة الديانات الثنوية التي لا تزال حية في بعض البلدان يتعبد بها ملايين من بني البشر.

وأن وجود الشر علة ظهور عقيدة الديانات الثنيوية، ويتجسد وجود الشر في الموجودات كالنار والحيوانات والهواء والماء والعواصف والشمس والبرق وغيرها من الموجودات التي شكلت خطرًا على حياة الإنسان، ويتجسد أيضًا في المصاعب والآلام والمظالم والأمراض والعاهات والكوارث والمصائب والمعاناة ونحوها، وكل ذلك عكر صفو حياة الإنسان وجعله قلقًا خائفًا يعيش الرهبة الدائمة بلا لذةٍ ولا سعادة.

Abstract

Imam Ali goes to Iraq soon after his succession, to correct the path, end strife, do right, he has faced suspicion of religious belief in Iraq, most of them endemic from former religious cult of Mesopotamia, and from India and Persia religions. On Iraq Sal religions have alternated, philosophies mixed, crosses – fertilization promoted. He revealed suspicions by his words, speeches, letters, prayers on conversations, he removes confusion, shows the truth refutes origin of Dualism, philosophies saying, sceptics, perspective with corroborative evidence. In our contemporary world, philosophies and perspectives have renewed, cognitive suspicions and problematic issues raised which are ancient content modern in form and style. It remain guidelines and principles of religions some of them gone and some still after renewal and development such as Dualism which still exist in some countries worshipped by millions of emergence of Dualism. The existence of evil has embodied in fire, animals, air, water, storms, sun, lighting and other things which constated a danger to human life. And also embodied in hardships, illnesses, impairment, disaster, calamity, suffer, etc. All this disturbed human life and make him worried, live in fear.

الحمد لله الواحد الأحد، الذي لا شريك له ولا ضد ولا ند، والصلاة والسلام على سادات البرية وأشرف الخلق أجمعين نبينا صاحب المقام المحمود محمد وآله الطيبين الطاهرين الهداة المهديين.

موضوع البحث: إبطال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عقيدة الديانات الثنوية- دراسة تحليلية.

أسباب اختيار البحث: الحاجة الفكرية لمعرفة هدي الوحي الإلهي في جدلية الثنوية الدينية وإشكالياتها الفلسفية في الثقافة المعاصرة، والأجوبة المتعلقة بذلك، على وفق ما أصّله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

مشكلة البحث: التساؤلات المعرفية المتعلقة بالرؤية الكونية الباعثة على الاعتقاد بالثنوية، والمتمثلة بإشكاليات مقولة "الخير والشر" التي تشغل بفعل الحوادث والوقائع اليومية والمستمرة من بين أمور أخرى الفكر الديني والفلسفي المعاصر كما شغلته منذ أزمنة غابرة، ولا تزال تثير تساؤلات عقدية وعصفاً ذهنياً مزلزلاً في كثير من الأحيان.

جدوى البحث: إن معرفة مقولة الحق التي بيّنها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في حقيقة الخير والشر، وفي تحليل الثنوية وتفنيد شبهاتها، فيها إجابات معرفية وافية تعالج الإشكاليات المتعلقة بذلك معالجة ناجعة، أحوج ما نكون إليها في عالمنا المعاصر الذي تتجدد فيه تساؤلاتها وتتفرع وتكثر في الساحة الفكرية، وفي وسائل التواصل الاجتماعي، ولذا فإنه موضوع يستحق البحث والدراسة والنظر والتأمل.

أسئلة البحث: وتتفرع على موضوع البحث تساؤلات جوهرية مهمة تتعلق بوجود الله تعالى

وصفاته بما فيها وحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته ورحمته، وإذنه في وقوع الشر ولوازمه وما يلحقه من أذى بالكائنات الحية وفي مقدمتها الإنسان، والحكمة من خلق الشيطان باعتباره فاعل الشر الأول، وفرضية العقيدة الثنوية لشبهات تتفرع على تلك التساؤلات.

أهداف البحث: البرهنة على أن العقائد الثنوية أوهام في أذهان واضعيها مصدرها ظنونهم وقصور إدراكهم، بلا دليل عقلي منطقي يدل عليها، يجددها التفسير الخاطئ للحوادث والوقائع، وأن الدليل القطعي اليقيني قائم على إثبات وحدانية الله تعالى وصفاته الكمالية والجلالية.

والبرهنة على أن الأصل في الكون الخير، وأما الشر فنشوز، وكثير منه يفعله الإنسان بإرادته الحرة، وأن طبيعة الحياة الدنيا تقتضي المكابدة والفتن والمحن.

أهمية البحث: يبين البحث ضرورة الإفادة من وقوع الشر بتحويله إلى فرصة للنجاح والصلاح والفلاح بجميع الوسائل الممكنة والآليات المتاحة في عصرنا، بعد تحليل الشبهات المعرفية ونقد الإشكاليات الفكرية المتعلقة بمقولة "الخير والشر" وتحولها إلى عقائد ثنوية نقداً علمياً موضوعياً، مما يسهم في إثراء المعارف الإنسانية في دراسات وبحوث منهجية انطلاقا من فيض علوم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

فرضيات البحث: إن إبطال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عقيدة الديانات الثنوية وتفنيد شبهاتها وبيان مقولة الحق في الخير والشر والاشكاليات المترتبة عليها في خطبه وأقواله بأسلوب مذهل يجمع الإبداع في التحليل، وبلاغة العبارة وجمال القول ودقة الرؤية وروعة

المعنى وعمق الفلسفة، وبما يدل على قداسة المصدر (وحي من الله تعالى، وهدي من رسوله صلى الله عليه وآله)، كل ذلك تأصيل لمشروع علمي تكاملي ريادي يلبي حاجة معرفية معاصرة.

حدود البحث ومجتمعه: لما كان موضوع البحث إبطال عقائد وتفنيد شبهات تتمحور حول مقولة "الخير والشر" التي تلامس أعماق الإنسان (كل إنسان) وتعصف في ذهنه وتجول في خاطره بصور متعددة منها تساؤلات وأفكار ورؤى، فإن حدود البحث الزمانية كل عصر، والمكانية جميع البلدان والأقطار، وحدوده المجتمعية الأمم والشعوب بمجتمعاتها المختلفة.

منهج البحث: لما كان موضوع البحث "إبطال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عقيدة الديانات الثنوية" موضوع فكري عقدي جدلي، فاقتضى هذا أن يكون منهج البحث فيه المنهج الوصفي التحليلي للحصول على نتائج علمية دقيقة.

هيكلية البحث: اقتضت ضرورة البحث العلمية وموضوعيته أن يكون في مباحث ثلاثة: أولها في الأصول العقدية للديانات الثنوية والرؤى الفلسفية المتعلقة بإشكاليتي الخير والشر، وثانيها في إبطال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الأصول العقدية للديانات الثنوية، وثالثها: في تفنيد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إشكاليات الخير والشر، وخاتمة البحث نتائج علمية موضوعية.

المبحث الأول

الأصول العقدية للديانات الثنوية وأسس الرؤى الفلسفية

في عالمنا المعاصر تتجدد اليوم فلسفات ورؤى، وتثار شبهات معرفية وإشكاليات فكرية، قديمة في مضمونها، معاصرة في صياغتها وأسلوبها، كانت ولا زالت أصولاً

ومبادئ في ديانات بعضها اندثر وبعضها لا زال باقيا بعد تطور وتجدد، ومن ذلك عقيدة الديانات الثنوية التي لا تزال حية في بعض البلدان يتعبد بها بعض بني البشر، فلأسباب مختلفة بعضها فلسفية ونفسية واجتماعية وكونية ومعرفية شغلت الثنائية الموجودة في الكون أذهان الناس، ومن بين أمل وألم، وخوف ورجاء، وخرافة وأسطورة، وانحراف وانجراف، وجهل وشبهة اعتقد بعض الناس بالثنوية دينا (بأصوله العقدية وطقوسه وممارساته) فجانبوا الحقيقة وضلوا عن الصواب[1]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[2].

إن الرؤية الكونية الباعثة على تلك العقيدة والمتمثلة بتساؤلات تتعلق بالكون والوجود والإنسان والحياة، وبإشكاليات مقولة "الخير والشر" تشغل بفعل الحوادث والوقائع من بين أمور أخرى الفكر الديني والفلسفي المعاصر كما شغلته منذ أزمنة غابرة[3]، ولا تزال تثير تساؤلات عقدية وعصفا ذهنيا مزلزلا في كثير من الأحيان، وفيما يأتي إيجاز البحث في ذلك:

أولا. الأصول العقدية للديانات الثنوية:

إن جوهر الديانات الثنوية الإيمان بأصلين مختلفين للوجود كل منهما إله مستقل في ذاته يتساوى مع الآخر في القدم والقدرة، ويختلف عنه في النفس والجوهر والطبع والصورة، ويضاده في الفعل والتدبير، هما:

١. **إله الخير "النور"**: وهو إله خيّر حكيم بطبعه، يجب أن يُعبد ليُشكر على فعله الخير، ويُطلب عونه، ويُضمن نفعه، ويُستدر عطفه.

٢. **إله الشر "الظلام"**: وهو إله شرير سفيه بطبعه، يجب أن يُعبد

استسلاما لطغيان قوته؛ لأنه لا قبل بمواجهته، وليُرضي ويُتقي أذاه، وخوفاً من نقمته[٤].

وفي عقيدة الديانات الثنوية: أن العالم صادر عن إلهي الخير والشر، وأنهما معاً يدبران العالم بصراعهما الدائم فإله الخير يدبّر العالم وإله الشر يفسده، وحربهما سجال فينتصر أحدهما حينا ويخسر حينا آخر[٥].

إن الإيمان بوجود الشر في العالم علة ظهور عقيدة الديانات الثنوية، وذلك حينما رأى الإنسان أن وجود الشر يتجسد في الموجودات كالنار والحيوانات والهواء والماء والعواصف والشمس والبرق وغيرها من التي شكلت خطرا على حياة الإنسان، ويتجسد الشر أيضا في المصاعب والآلام والمظالم والأمراض والعاهات والكوارث والمصائب والمعاناة ونحوها[٦]، وكل ذلك عكر صفو حياة الإنسان وجعله قلقاً خائفاً يعيش الرهبة الدائمة بلا لذة ولا سعادة، يتفكر في أسباب الشر ودواعيه، يترقب آثاره ونتائجه، يحمل هَمَّ النجاة منه وينشد الخلاص، ونتيجة لهذا وذاك انحرف الإنسان فابتدع الديانات الثنوية عقائد ورؤى وطقوس وممارسات[٧].

وأنكر الثنوية وحدانية الإله، محتجين بأن الإله الواحد الأحد العالم القادر الحكيم لا يصدر عنه ما يخالف ذلك، فلا يصدر عن الإله الواحد علة الوجود والمتحكم بجميع ظواهره شر ولا نقص ولا تناقض، ولذا قالوا إنه لا بد من وجود أصلين أزليين "إلهين"، هما:

١. الله: وهو روح بحت ونور صرف خيّر يصدر عنه الخير، وقد تولدت عن الله القوى الملائكية مثلما تشعل الشموع من مشعل متقد.

٢. المادة: وهي كثافة مطبقة وظلمة دامسة شريرة يصدر عنها

الشر، وقد تولد عنها الشيطان كما تتولد العفونة من الأجزاء الرطبة[٨].

وقد استدل الثنوية على معتقدهم بدليلين هما:

أ. إن الخير والشر ضدان لا يأتيان من سبب وعلة واحدة؛ بل من سببين وعلتين، مما يدل على أن للكون مبدئين وخالقين.

ب. إن في نسبة الشر إلى "إله الشر" ذود عن كرامة وقدسية "إله الخير" وحصر لأفعاله في الخير.

وبذلك فقد قالوا بوجوب عبادة "إله الخير" شكرا لما وهبهم وليدر عليهم خيره، ووجوب عبادة "إله الشر" ليمسك عنهم شره وضره[٩].

ويمكن تقسيم المعتقدات الثنوية من حيث الشكل والمضمون على ثلاث فئات، هي:

١. الثنوية المطلقة: ومضمونها القول بوجود مبدأين أو أصلين أزليين مستقلين ومتعارضين، لكل منهما عالمه، وسلطانه المطلق على ذلك العالم، فعالم للروح وللنور الأزلي، وعالم للمادة وللظلمة الأزلية.

٢. الثنوية الجذرية: ومضمونها القول بوجود مبدأين متساويين في القيمة النسبية وفي علاقتهما بالوجود، ولكن هذين المبدأين ليسا أزليين بل حادثين ومتولدين عن الإله الأزلي الواحد القديم، وهما في حالة صراع دائم منذ صدورهما.

٣. الثنوية المعتدلة: ومضمونها القول بوجود مبدأ واحد وأصل واحد قديم وأزلي هو "إله الأنوار الأعلى"، ثم إن هذا الإله الأعلى قد خلق إلها أدنى منه مرتبة، قام بدوره بخلق العالم المادي، فالمادة شر بطبيعتها، ولا يمكن للإله الواحد الخيّر أن يخلق الشر أو يكون مسؤولاً عن وجوده[١٠].

ثانيًا: الرؤى الفلسفية الثنوية

وهي الرؤى والأفكار التي نظّرها

بعض الفلاسفة منذ قديم الزمان بدءا ببعض فلسفات بلاد وادي الرافدين القديمة وإلى يومنا هذا، وقد تباينت اتجاهاتها وتعددت مناهجها واختلفت مدارسها، ولكن تقارب تنظيرها لإشكاليتي الخير والشر، وتكثرت آراء فلاسفتها في الشر كنها وأسبابا وآثارا ونتائج، وتشعبت مقولاتها في الصراع والتصادم والسنن الكونية، وتمحور كل ذلك في نتائج توصلوا إليها، منها[١١]:

١. إنكار وجود الله تعالى، حيث قالوا: إنه لو كان الله موجودا لكان العالم كله خير وراحة بلا عناء ولا بلاء، وعليه فإن وجود الشر يتعارض مع وجود الله تعالى، لأن الكمال الإلهي يقتضي أن لا يفعل الله الشر، وأن لا يكون في العالم شر لأن الشر محض فساد لا خير فيه، ولما ثبت وجود الشر لزم عدم وجود الله[١٢].

٢. لما كان الله رحمانا رحيما فإن رحمته تتعارض مع فعله الشر ومع قبوله وجود الشر، ولما كان وجود الشر أمراً واقعاً وفعلياً ولا يمكن إنكاره فيلزم من ذلك أمران:

الأمر الأول: عجز الله عن منع وجود ووقوع الشر.

الأمر الثاني: عدم علم الله بوجود الشر ووقوعه[١٣].

ثالثا: أفكار وتساؤلات ملخصها: أن الله تعالى خلق الشيطان؛ ليكون مصدرا للشر بقدرته وتدبيره، وقرر الشيطان أن يكون معارضاً ومناقضاً لإرادة الله تعالى، فمصدر الشر شخصية ما ورائية كبرى ذات أصل سماوي تنشط في استقلال عن الله[١٤].

وأن خلق كائن شرير (إبليس) لغواية الناس وإضلالهم، وخلق كائنات شريرة (الشياطين) لفعل الشر، وتزويدهم جميعاً بإمكانيات كبيرة لتحقيق ذلك، يتنافى مع كمال

الله تعالى ومع حكمته ورحمته، ويلزم منه ظلم لـ "إبليس، وللشياطين، وللناس، وللأرواح الشريرة" لأنهم مسيرون لفعل الشر، فيفعلونه بقدرة الله الذي أقدرهم عليه وجعله فعلاً صادراً منهم، ويعانون من الشر وويلاته فيلحق الشر أذى ومعاناة وألما بمن يقع عليه من المخلوقات قهرا عليها، وكل ذلك عبث لا يليق بالحكمة الإلهية وضرر لا يليق بالعدل الإلهي، وكذا الأمر في خلق الموجودات المؤذية والمضرة والظواهر الفتاكة والكارثية[١٥].

لقد تلاقحت تلك الأفكار والرؤى والتساؤلات في ذهنية بعضٍ من الناس خصوصا من المتعبدين بالديانات الثنوية لأنها تناغمت مع أصولهم العقدية، وكما هو الحال اليوم في ذهنية المشككين بالعقائد الدينية، لتنتج فكرا وثنيا إلحاديا ثنويا هجينا.

إن الثنوية بعقائدها وفلسفتها ورؤيتها لم تستطع أن تقدم حلاً حقيقياً لإشكاليات الخير والشر، وليس فيها بارقة أمل للإنسان ولا طمأنينة للمجتمع ولا راحة للبشرية، والحقيقة التي لا غبار عليها أن "شرور الحياة" في عين الملحد والكافر بالله الواحد الأحد قذى وشجى وفي نفسه حسرة وتعاسة وفي حركيته ألما وضياع، وأن "شرور الحياة" في عين المؤمن بالله الواحد الأحد اختبار وتمحيص وفي نفسه طمأنينة وسعادة وفي حركيته أمل وظفر.

المبحث الثاني

إبطال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الأصول العقدية للديانات الثنوية

وبعدما تولى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الخلافة قصد بثقله العراق لتصحيح المسيرة ووئد الفتنة وإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وواجه شبهات عقدية في العراق (بلد الفكر

وتلاقح الحضارات) بعضها متوطن من ديانات بلاد وادي الرافدين السابقة، وبعضها وافد من ديانات بلاد فارس وبلاد الهند وغيرها، قوام تلك الشبهات أصول عقدية وأسس فكرية لبعض الديانات الثنوية، وتساؤلات معرفية شغلت فكر الإنسان انتجت رؤى فلسفية تعدد تنظيرها لإشكاليتي الخير والشر، فما كان من أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا أن أبدع في تحليلها وتفنيد شبهاتها وبيان مقولة الحق فيها في: خطبه وأقواله ورسائله وأدعيته ومحاوراته، بأسلوب مذهل يجمع بلاغة العبارة وجمال القول ودقة الرؤية وروعة المعنى وعمق الفلسفة، وبما يدل على قداسة المصدر (وحي من الله تعالى وهدي من رسوله صلى الله عليه وآله).

فكشف الشبهات، وأزال اللبس، وبيّن المجمل، وأظهر الصواب، وفند أصول الديانات الثنوية، ومقولات الفلاسفة ورؤى المشككين، بالدليل الدامغ والحجة البينة، ويمكننا إيجاز الإشارة إلى مضامين ذلك بما يأتي:

أولا: لما خلق الله تعالى الإنسان عاقلاً مفكراً فلابد له من إعمال العقل وإمعان النظر في الوجود والموجودات؛ ليدرك الحقائق والمعارف، ولا بد أن يتساءل للمعرفة لا للمعاندة، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا.. وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ»[16]، وقال (عليه السلام): «رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ»[17].

ثانيا: مهما رجح عقل الإنسان لا يمكنه إدراك جميع حقائق الوجود والكون والحياة والمبدأ والمعاد، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ»[18]، فعلى

الإنسان أن لا يكون أسير الظنون ولا حبيس الأوهام؛ بل أن يستعين بهدي الوحي الإلهي لتصحيح مدركاته وإصابة الواقع وانتاج معرفة يقينية تسعده في دنياه وآخرته، يقول (عليه السلام): «وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ»(١٩).

ثالثًا: إن عقيدة الديانات الثنوية أوهام في أذهان واضعيها مصدرها ظنونهم وقصور إدراكهم، وهي جزء من المنظومة العقدية لمن جهلوا حق الله تعالى، وابتعدوا عن هدي الوحي الإلهي فابتدعوا أندادا وشركاء لله تعالى بعد أن وقعوا في فخ الشياطين بسبب الجهل في العقيدة الحق والقصور في إدراك الواقع، وتخيلهم أن في ما توصلوا إليه إجابات لإشكاليات تساؤلاتهم، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ»(٢٠)، ويقول (عليه السلام): «كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ، وَجَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ»(٢١).

رابعًا: أكد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الحقيقة الثابتة في تاريخ الأمم والشعوب بأنه لم يدع أحد من البشر يوما أنَّه رسول من إله ثان، أو يعلن هذا الإله المزعوم عن نفسه لفرد أو لجماعة أو لأمة أو لشعب، بل إن أهل الثنوية أنفسهم لم يدعوا أن الإله الثاني قد خاطب الناس مطالباً بعبادته واتباعه، فالحقيقة أن الوحدانية ثابتة بالدليل القطعي اليقيني، حيث يقول (عليه السلام): «وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ

وَصِفَاتِهِ؛ وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ وَلَا يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ»[٢٢].

خامسًا: لو وجد إلهان يلزم من ذلك أحد أمرين:

الأمر الأول: أن يكونا متكافئين في القدرة، فلا إله الخير يستطيع التغلب على إله الشر ولا العكس، وعليه لا يمكن أن يكون أي منهما إلها، وذلك لأن تكافؤ القدرة بينهما دليل ضعفهما إذ لا يستطيع أي منهما دفع الاخر، مما يعني أن قدرة كل منهما محدودة، في حين أن الأزلية الإلهية لزامها القدرة اللانهائية[٢٣].

الأمر الثاني: أن يكونا متغالبين بأن يتغلب أحدهما على الآخر دورياً، وهذا دليل ضعفهما معاً، وبالتالي بطلان ألوهيتهما[٢٤]، قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَلَا كُفْءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ»[٢٥]، ويقول (عليه السلام) في دعائه: «اللهمّ إنّك ... قاهر لا تقهر ... وقادر لا تضادّ.. وجبّار لا تعان، وعظيم لا ترام ... وقويّ لا تضعف... وغالب لا تغلب... ومنيع لا تقهر... وواحد لا تشبّه ومقتدر لا تنازع»[٢٦].

سادسًا: لو تعدد الخالق لما وجد شيء من الممكنات، ولما وجدت السماوات والأرض، وذلك لأنَّ تخالف إرادتي الخالقين أو إرادات الخالقين، وتساوي قدرتيهما أو قدراتهم، وعدم المرجح لأحداهما على الأخرى يستلزم أن لا يوجد شيء من الممكنات، والحال أنه توجد موجودات كثيرة بالضرورة، وإذا بطل عدم وجود شيء من الممكنات فإنَّه يبطل القول بتعدد الإله[٢٧].

سابعًا: الآثار كلها تدل على أن المؤثر واحد، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ»[٢٨]، وأن مدبر العالم

واحد أحد، قال (عليه السلام): «وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ»[٢٩]، وقال (عليه السلام): «الْأَحَدِ لَا بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ»[٣٠]، أي لا يشكل مع غيره جمعاً أو تثنية؛ لأنَّه تعالى لا ثاني له[٣١].

ثامنًا: لقد دعا جميع الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) إلى إله واحد لا ضد له ولا ند ولا شريك، يقول الإمام (عليه السلام): «فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ»[٣٢]، فالله واحد بوجوده ذاتاً في الأزل والأبد، وواحد في كماله المطلق من كل وجه، ليس كمثله شيء، وصفاته بكاملها موجودة بوجود واحد، منزَّه عن كلِّ ما فيه شائبة الشرك والزيادة عن ذات الله تعالى[٣٣].

تاسعاً: إبليس كائن حسي يدرك ويعقل ويتعصب لأنانيته، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ فَقَالَ أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ»[٣٤]، وإبليس كائن مخلوق خلقه الله تعالى لعبادته ومنحه حرية الإرادة والاختيار تماما كما خلق البشر، فهو يفعل ويترك بإرادته واختياره، يقول (عليه السلام): «إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ»[٣٥]، وبعد دهر طويل من العبادة ارتد بمحض إرادته ونكص على عقبيه وتمرد باختياره سالكاً طريق الضلالة والإضلال، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَةُ وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ، وَاسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ، فَقَالَ: فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ»[٣٦].

وقد حذّر الإمام (عليه السلام) في كل

مناسبة الناس من خطر إبليس وعداوته في أقوال كثيرة، منها: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ»[٣٧]، مبينا (عليه السلام) أن قدرة إبليس محدودة ودوره لا يتعدى الغواية والوسوسة، وبه تتكامل إرادة الإنسان وحرية اختياره بقوله: «وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا»[٣٨].

ونصح أمير المؤمنين (عليه السلام) الناس في وجوب الحذر وبالالتزام التام بالمنهج الإلهي المرسوم للخلاص من كيد الشيطان وخطره ووسائله بقوله (عليه السلام): «فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ عَدُوَّ اللهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، فَقَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ، صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ»[٣٩]، وبقوله (عليه السلام): «فَاللهَ اللهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَئَانِ وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ، الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ ذُلُلًا عَنْ سِيَاقِهِ سُلُساً فِي قِيَادِهِ أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ، وَكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ»[٤٠]، فلا بد من الاستعانة بالله تعالى لتحقيق خلاص الإنسان من حبائل الشيطان، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَأَحْمَدُ اللهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ

وَمَزَاجِرِهِ، وَالِاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ»[41].

عاشرًا: الشيطان: كل من يوسوس ويغوي ويزين سواء أكان كائنا حسيا أم معنويا، وهو (الشيطان الإنسي، والشيطان الجني، والوسوسة والخواطر السوداء)[42].

إن نفوذ الشيطان محدود بحدود الوسوسة والتزيين والتسويل وإظهار الباطل بمظهر الحق فقط، الأمر الذي بيّنه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: «يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا»[43]، فلا سلطان للشيطان في التكوين؛ بل في مجال الأفعال التشريعية والتكليفية للإنسان دون غيره، وسلطة الشيطان على الإنسان محدودة بحدود ذلك وتابعة لإرادة الإنسان نفسه، فتتسع سلطة الشيطان على الإنسان أو تضيق حتى تصل إلى حد العدم إن أراد الإنسان أيا من ذلك[44]، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[45].

فحقيقة إضلال الشيطان الإنسان إنما تنحصر في استجابة الإنسان دعوة الشيطان وتزيينه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾[46].

حادي عشر. إن الشر الحقيقي في طاعة الشيطان لأنه يلزم منها الحيرة والضلال والإضلال والفتن والمعاناة والتعاسة والشقاء والنزاع والصراع والآلام والمحن والخطوب والقتل والتشريد والاضطهاد، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ

فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ وَقَامَ لِوَاؤُهُ فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ»[٤٧].

المبحث الثالث

تفنيد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إشكاليات الخير والشر

لما كانت "الشمولية" من مميزات المنهج المعرفي للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فإنه يمكننا إيجاز البحث في تفنيد الإمام (عليه السلام) إشكاليات مقولة "الخير والشر" التي تبنتها الديانات الثنوية ونظّرها فلاسفتها، وذلك بما يأتي:

أولًا: البراهين والأدلة التي ذكرها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبه وأقواله ومضمونها أن الأفعال التي فعلها الله تعالى وأمر بها حسنة كلها، وليست القبائح من أفعاله تعالى ولا من أوامره، يقول (عليه السلام): «وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ»[٤٨]، بل خلق الله تعالى كل أمر حسن[٤٩]، قال (عليه السلام): «قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الِانْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةٍ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا، وَلَا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا، وَلَا تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَلَا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ»[٥٠].

ثانيًا: من الأمور الحسنة التي خلقها الله تعالى "الإرادة الحرة"، ولكنها سبب لإمكانية وقوع الشر

من المخلوق بإرادته وحريته (ومن أمثلة ذلك فعل الإنسان الشر)، وعليه فإن المخلوق الذي خلقه الله تعالى خيّرا من الممكن أن يفعل الشر كما يمكنه فعل الخير، الأمر الذي يلزم منه أن يتردى الإنسان (فرداً كان أم مجموعاً) في التعاسة والشقاء والضلال والإضلال والمعاناة، وهذا ما حذّر منه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: «وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمُثُلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ»[٥١].

ثالثًا: خلق الله تعالى الإنسان صالحاً خيّرا بطبعه وجبلته، وفطره الله عز وجل على الاستقامة لتمنعه من توجيه إرادته إلى الشر وأسبابه، يقول (عليه السلام): «ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحُقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ»[٥٢].

رابعًا: الشر عنصر طارئ على الإنسان يفعله لأنه لم يقاوم الغواية، قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَ أَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ»[٥٣]، ولذا أحاط الله سبحانه وتعالى الإنسان برعايته وتوجيهه وتحذيره ومنحه فرص النجاة، فأمره الله سبحانه بأن يتحصن من الغواية بالإيمان والتقوى والعمل الصالح ليعصم من التردي فيها، وبذلك يفعّل الإنسان دوره ليكون خيّرا بسلوكه فلا يفعل شراً، يقول الإمام (عليه السلام): «فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَجِلَاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ، وَضِيَاءُ سَوَادِ

ظُلْمَتِكُمْ»[٥٤].

خامسًا: خلق الله تعالى الإنسان في هذه الدنيا ليكون متحركا باختياره وإرادته، وهي إرادة حرة منطلقة إلى "الشر" كما "الخير"، ضمن حدود القدرة الإنسانية التي أنشأها الله تعالى في البشر، وإن فعل الإنسان الشر استعماله لعطية القدرة الإلهية في غير موضعها وتوجيه الإنسان فعله البشري إلى أمر سلبي.

سادسًا: إن منع الله الإنسان عن فعل الشر في كل واقعة يعني إلغاء حرية الإنسان وتحوله إلى كائن مسيّر غير مريد، وإن تدخل الله تعالى في كل واقعة وجزئية لرفع الألم والمعاناة والضرر عن كل كائن حي سيحول العالم إلى فوضى، لانتفاء العلاقات الدائمية المنتظمة بين الأحداث، وسيكون العالم حينئذ بلا ناموس طبيعي مستقر، فلا معنى فيه للإرادة والاختيار والحرية.

سابعًا: إن وجود الشر في العالم مبرر؛ لأنه في مقابل "حرية الإرادة" و"ثبات النواميس الكونية"، فأما حرية الإرادة البشرية فعنصر جوهري في الوجود الإنساني يربو فضلها على كل شر دنيوي؛ لأنَّها مرتبطة بسبب وجود الإنسان على الأرض ومآله في يوم القيامة، وأما ثبات النواميس الكونية فضروري؛ لأنَّه لابد من طبيعة الانتظام في أحداث الكون وثبات أصل السببية لأمور منها[٥٥]:

أ: أنه يوفر بيئة ضرورية لسلامة التفكير العقلي واستنباطاته وتوقعاته، وبالتالي وجود الإرادة العاقلة الحرة ليختار الإنسان فعله.

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «ألا إِنَّ الشَّجرَةَ البَرّيّة أَصْلَبُ عُوداً، والرَّوائِعَ الخَضِرَةَ أرَقُّ جُلوداً، والنباتاتِ البَدَويَّة أَقوى وَقُوداً وأَبطَأُ خُموداً»[٥٦]، وإلى هذه الحقيقة يشير قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَعَسَى أَن

﴿تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٥٧]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾[٥٨].

ب: وجود القانون والنواميس الثابتة التي تحكم الكون تدفع الإنسان إلى معرفة نفسه وتنمية ذاته بسبب معارفه التراكمية.

جـ: يلزم من إمعان النظر في الكون ومعرفة قوانينه والتأمل في إبداع الخلق معرفة الخالق سبحانه وتعالى عقلا وعلما.

ثامناً: إن الأصل في الكون الخير وأن الشر نشوز[٥٩]، فالأصل العافية والمرض نشوز، والخير لا يمكن عده وحصر تنوعه والشر محصور العدد، أي أن الوجود خير بالذات، أما الشر فيأتي بالعرض وليس ذاتيا، فالشر أثر لفعل أو حال ما فلا وجود لشر مطلق؛ بل هو أمر نسبي أو جزئي فما يكون شرا لشخص يكون خيرا لآخر[٦٠].

تاسعًا: الشر فعل المخلوق، أما المخلوق العاقل كالإنسان فالله تعالى خلقه وأعطاه الإرادة؛ ولكنه بإرادته يفعل الشر[٦١]، وأما المخلوق غير العاقل كالزلازل والبراكين فهي شر من وجه لا من كل الأوجه لأنها ليست شرا في ذاتها[٦٢] بل هي نتاج قوانين فيزيائية بثها الله تعالى في الأرض لتهيئتها لعيش الإنسان وتحرر طاقة باطن الأرض وتخرج الثروة المعدنية من باطن الأرض إلى سطحها ونحوها، علما أن ذلك لا يحدث دائما وإنما يتم في ظروف معينة غير دائمة[٦٣].

عاشرًا: إن كثيرا من أصناف الشرور وأنواع البلاء بسبب ظلم الظالمين وجهل الإنسان، فمثلا مقولات "التفوق العرقي" و"البقاء للأقوى" و"عنفوان القوة والسلطة" أسباب للشر والظلم والأنانية

والفساد في الأرض منذ قديم الزمان وإلى اليوم، ولو اتبع الناس بإرادتهم واختيارهم أوامر الله سبحانه وتعالى لسعدوا في الدنيا والآخرة، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ»(٦٤).

حادي عشر: مهما قيل عن الشر ومعاناته إلا أنه في واقع الحال توجد حكم كثيرة يقرها العقل تفسر وجود الشر في العالم تفسيرا إيجابيا، بل إن الشر عنصر جوهري في إيجاد معنى حقيقي لواقع إيجابي تنمو فيه ذات الإنسان وبما يحقق فوائد مهمة، منها:

أ: وقوع الشر يدفع الإنسان لرفعه ودفعه، مما يؤدي إلى الإبداع وتحريك الطاقات العلمية وبالتالي التقدم الحضاري والتطور المدني والازدهار العمراني(٦٥).

ب: الشر والبلاء يدفعان الإنسان إلى الانتباه من الغفلة والإنابة إلى الله تعالى، والتوجه إليه والتوبة من السيئات فيتكامل الإنسان روحيا وأخلاقيا(٦٦)، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وَتَزُولُ عَنْهُمُ، النِّعَمُ فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ»(٦٧).

جـ: الشر والبلاء سبب لمعرفة النعم وتقديرها وشكرها، وتنمية الذات وتطويرها وتهذيبها بمصارعة أسباب السقوط(٦٨)، قال الإمام (عليه السلام): «وَلَكِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً ذُلُلًا لِعَفْوِهِ»(٦٩).

د. الشر والبلاء عقاب للكافرين والظالمين، يقول الإمام أمير المؤمنين

(عليه السلام): «وَايْمُ اللهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا؛ لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»[٧٠].

هـ: الشر والبلاء ثواب ورفعة للمؤمنين والصابرين، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ»[٧١].

و: اختبار الناس بالخير والشر وامتحان إيمانهم أمام الفتن نعما ومحنا حتى يثبت أن الإنسان نال درجة الفوز بجدارة وحرية وإرادة.

ثاني عشر: الدنيا دار اختبار وامتحان، وطبيعة ذلك تقتضي المكابدة والفتن والمحن، وإن وجود الإنسان لا ينحصر في الحياة الدنيا؛ بل أن تتمتها في الحياة الآخرة التي هي الحياة الحقة "حياة الجزاء ودار المستقر"، وإن الله تعالى يعامل المعذبين بفضله لا بعدله، فيسبغ عليهم نعيمه الأخروي الذي يتضاءل أمامه كل أذى دنيوي، وفي الآخرة أيضاً يكون القصاص من الشرير ويعاقب على فعله الشر.

ثالث عشر: جعل الله تعالى برحمته وحكمته في الكون نواميس تمنع وقوع كثير من الشر، وأخرى تخفف الألم إلى مدى بعيد جدا وحتى لا تبقي منه إلا أقل القليل، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الملائكة: «وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ»[٧٢]، وأن الله سبحانه وتعالى قد زوّد الإنسان بموانع بيولوجية مدهشة كثيرة تقيه الألم والمعاناة[٧٣].

رابع عشر: إن رحمة الله تعالى بخلقه جميعاً حاضرة في كل زمان ومكان، وهو سبحانه يصرّف الأمور ويعدّل الأحوال بسنن ونواميس ظاهرة وخافية (منها إجابة الدعاء)، وبتوفيق الإنسان إلى اختيارات صائبة، ودفعه إلى غير مواطن الضرر،

وتهيئته لأمور نافعة، وبتعطيل طبائع الأشياء بصور خفية.

خامس عشر: إن الإيمان بالله تعالى إيمانا حقيقيا يقينيا يجعل الإنسان خيّرا في مسيرة حياته ويحدد أفعاله في الخير، ولا بد أن تكون طاعة الله تعالى وعبادته طوعية برسوخ الإيمان في نفس الإنسان على وفق منهج يجمع بين متطلبات الدنيا ومتطلبات الآخرة وبما يحقق أهداف الدين الإلهي الحق.

سادس عشر: مهما قيل عن جبروت الطواغيت، وطغيان الحكام، وعن القوى الخفية، وعن تأثيرات الأفلاك، وحركية الجن والشياطين، وهالة إبليس إلا أن كل ذلك ضعيف تجاه إرادة الإنسان وطاقات الروح الخيّرة التي أراد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) استكشافها واستنهاضها وإعادة بنائها.

الخاتمة والنتائج

نستنتج من مطالب البحث أن لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الريادة في التصدي لعقائد الثنوية وفلسفتها، فأبدع في تبيان حقيقة الخير والشر وفي تحليل الثنوية وتفنيد شبهاتها، موضحا مقولة الحق في خطبه وأقواله ومواقفه بالدليل الدامغ والحجة البينة، ويمكننا إيجاز خلاصة ذلك بما يأتي:

١. على الإنسان بوصفه مخلوقاً عاقلاً مفكراً أمران، أولهما: التدبر والتفكر والنظر والاستدلال ليدرك الحقائق والمعارف بعيداً عن التصورات الساذجة والخرافات والأساطير، وثانيهما: الاستعانة بهدي الوحي الإلهي لتصحيح مدركاته وإصابة الواقع وانتاج معرفة يقينية صحيحة.

٢. مع اعتناق الملايين من الناس عقائد الثنوية إلا أن الثابت يقينا في تاريخ الأمم والشعوب بأنه لم يدع

أحد من البشر يوما أنه رسول من إله ثان، أو ادعى أحد أن الإله الثاني المزعوم قد أعلن عن نفسه أو خاطب الناس مطالبا بعبادته واتباعه.

٣. إن الإيمان بأصلين مختلفين للوجود أحدهما "إله الخير" والآخر "إله الشر" إيمان قائم على الأوهام والظنون، يفنده الدليل القطعي اليقيني، فلا حقيقة لما تدعيه الثنوية من أن العالم صادر عن إلهي الخير والشر وأنهما معا يدبران العالم بصراعهما الدائم.

٤. إن وقوع الشر لا يدل على إنكار وجود الله تعالى، ولا على عن عجز الله عن منع وجود ووقوع الشر، أو عدم علمه سبحانه وتعالى بذلك.

بل شاء الله تعالى أن يجعل الدنيا دار اختبار وامتحان، وطبيعة ذلك تقتضي المكابدة والفتن والمحن، وأن وجود الإنسان فيها مؤقت وخالد في الآخرة، فإن أصابه ضر في الدنيا نال تعويضه في الآخرة بلطف الله تعالى وفضله ورحمته.

٥. إن خلق "إبليس" لا يتنافى مع كمال الله ومع حكمته ورحمته، فهو مخلوق لعبادة الله تعالى كالبشر تماما، ولكنه بعد دهر طويل ارتد بمحض إرادته إلى الكفر والضلالة والإضلال، وأن قدرته محدودة ودوره لا يتعدى الغواية والوسوسة (كما هو شأن بعض شياطين الإنس).

٦. إن الشر الحقيقي في الحياة طاعة الشيطان لأنه يلزم منها المعاناة والآلام والتعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة، والشر فعل الإنسان عندما ينحرف عن دين الله تعالى، مع أن الله تعالى قد خلق الإنسان صالحا خيّرا بطبعه وجبلته ومنحه "الإرادة الحرة".

٧. أصّل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) منهجا تكامليا شموليا

لدفع الشر قبل وقوعه ورفعه بعد الوقوع، وتحويله من بلاء ومعاناة إلى فرصة وفلاح، بترسيخ الإيمان بالله الواحد الأحد، وتحريك طاقات الإنسان وتنمية الذات وتطوير المهارات ومواجهة الصعاب وتزكية النفس لتقويتها بالصبر والأمل وبناء المجتمع المتماسك الواعي بناءً إيجابياً.

الهوامش

(١) ينظر: حسن: الدكتور محمد خليفة، تاريخ الأديان- دراسة وصفية مقارنة: ص١٥٦ وما بعدها.

(٢) سورة النحل: ٥١.

(٣) ينظر: العاملي: الشيخ حسن محمد مكي، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل- محاضرات الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني: ١/ ٢٧٤ وما بعدها.

(٤) ينظر: السواح: فراس، الرحمن والشيطان- الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية: ص١٢ وما بعدها.

(٥)ينظر: السواح: فراس (تحرير ومساهمة)، موسوعة تاريخ الأديان- الكتاب الخامس: ٧٤ وما بعدها.

(٦) ينظر: بارندر: الدكتور جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب: ٩٢ وما بعدها.

(٧) ينظر: العقاد: عباس محمود، إبليس: ص١١ وما بعدها، و: ٦٦ وما بعدها، و: ١٣٢ وما بعدها.

(٨) ينظر: السواح: فراس، الرحمن والشيطان: ٧.

(٩) ينظر د. محمد الصادقي، حوار بين الإلهيين والماديين: ٢٩٢.

(١٠) ينظر: السواح: فراس، الرحمن والشيطان: ١٢.

(١١) ينظر: العاملي، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: ١/ ٢٧٣ وما بعدها.

(١٢) ينظر: عامري: الدكتور سامي، مشكلة الشر ووجود الله: ٢٢ وما بعدها.

(١٣) ينظر: عامري، مشكلة الشر ووجود الله: ٨٦ وما بعدها.

(١٤) ينظر: السواح: فراس، الرحمن والشيطان: ٨٢ وما بعدها، و: ٢٢٣ وما بعدها.

(١٥) ينظر: مطهري: الشهيد آية الله مرتضى، العدل الإلهي: ٦٣ وما بعدها.

(١٦) نهج البلاغة١/ ٢١.

(١٧) المصدر نفسه: ١/ ١٩٧.

(١٨) المصدر نفسه: ١/ ١٦٢.

(١٩) المصدر نفسه: ١/ ٢٤.

(٢٠) المصدر نفسه: ١/ ٢٣.

(٢١) المصدر نفسه: ١/ ١٦٤.

(٢٢) المصدر نفسه: ٣/ ٤٤.

(٢٣) ينظر: الخرازي: السيد محسن، بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية: ١/ ٥٦.

(٢٤) د. محمد الصادقي، حوار بين الالهيين والماديين، ٣٠٠.

(٢٥) نهج البلاغة: ٢/ ١٢٤.

(٢٦) القرشي: الشيخ باقر شريف، موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): ٤/ ٢٨- ٢٩.

(٢٧) محمد علي ناصر، أصول الدين الاسلامي: ١٠٤.

(٢٨) نهج البلاغة: ٢/ ١٠٤.

(٢٩) المصدر نفسه: ٢/ ١١٥.

(٣٠) المصدر نفسه: ٢/ ٤٠.

(٣١) مغنية: الشيخ محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة: ٢/ ٣٧١.

(٣٢) نهج البلاغة: ١/ ٢٣.

(٣٣) ينظر: الخرازي/ بداية المعارف الإلهية: ١/ ٢٥.

(٣٤) نهج البلاغة: ٢/ ١٥٠.

(٣٥) المصدر نفسه: ٢/ ١٣٩.

(٣٦) المصدر نفسه: ١/ ٢١- ٢٢.

(٣٧) المصدر نفسه: ١/ ٢٣٥.

(٣٨) المصدر نفسه: ١/ ١١١.

(٣٩) المصدر نفسه: ٢/ ١٣٩.

(٤٠) المصدر نفسه: ٢/ ١٤٢.

(٤١) المصدر نفسه: ٢/ ٣٧.

(٤٢) مغنية: الشيخ محمد جواد، التفسير الكاشف: ١/ ٢٠ و: ٣/ ٢٤٩.

(٤٣) نهج البلاغة: ١/ ١١١.

(٤٤) مطهري، العدل الإلهي: ٧١.

(٤٥) سورة النحل: ٩٩- ١٠٠.

(٤٦) سورة إبراهيم: ٢٢.

(٤٧) نهج البلاغة: ١/ ٢٩.

(٤٨) المصدر نفسه: ٢/ ١١٥.

(٤٩) ينظر: الخرازي: بداية المعارف الإلهية: ١/ ١٠١ وما بعدها.

(٥٠) نهج البلاغة: ١/ ١٦٥.

(٥١) المصدر نفسه: ٢/ ١٥٠- ١٥١.

(٥٢) المصدر نفسه: ١/ ٢١.

(٥٣) المصدر نفسه: ١/ ٩٩.

(٥٤) المصدر نفسه: ٢/ ١٧٣.

(٥٥) ينظر: عامري، مشكلة الشر ووجود الله: ١١٩ وما بعدها.

(٥٦) نهج البلاغة: ٣/ ٧٢.

(٥٧) سورة النساء: ١٩.

(٥٨) سورة الشرح: ٥- ٦.

(٥٩) ينظر: عامري، مشكلة الشر ووجود الله: ٥٨ وما بعدها.

(٦٠) ينظر: العاملي، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: ١/ ٢٧٥ وما بعدها.

(٦١) ينظر: مطهري، العدل الإلهي: ١٥٤ وما بعدها.

(٦٢) ينظر: مغنية: الشيخ محمد جواد، فلسفة التوحيد والنبوة: ٤٣ وما بعدها.

(٦٣) ينظر: عامري، مشكلة الشر ووجود الله: ١٠٣ وما بعدها.

(٦٤) نهج البلاغة: ٢/ ١٠٦.

(٦٥) ينظر: العاملي، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: ١/ ٢٨٢.

(٦٦) ينظر: مطهري، العدل الإلهي: ١٤٩ وما بعدها، العاملي، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: ١/ ٢٨٣ وما بعدها.

(٦٧) نهج البلاغة: ٢/ ٩٩.

(٦٨) ينظر: العاملي، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: ١/ ٢٨٥.

(٦٩) نهج البلاغة: ٢/ ١٤٨.

(٧٠) المصدر نفسه: ٢/ ٩٨.

(٧١) المصدر نفسه: ٢/ ١١٢.

(٧٢) المصدر نفسه: ١/ ١٩.

(٧٣) ينظر: عامري، مشكلة الشر ووجود الله: ١٩١ وما بعدها.

مصادر البحث:

١. الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، نهج البلاغة -وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، شرح: الشيخ محمد عبده، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، لا. ت).

٢. بارندر: الدكتور جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: الدكتور إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت، ١٩٩٣ م): ص٩٢ وما بعدها.

٣. حسن: الدكتور محمد خليفة، تاريخ الأديان- دراسة وصفية مقارنة، الناشر: دار الثقافة العربية، (القاهرة، ٢٠٠٢ م).

٤. الخرازي: السيد محسن، بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، ط١٠، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، (١٤٢٣ هـ، قم المقدسة).

٥. السواح: فراس، الرحمن والشيطان -الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية، ط١، الناشر: دار علاء الدين، (دمشق، ٢٠٠٠ م).

٦. السواح: فراس (تحرير ومساهمة)، موسوعة تاريخ الأديان- الكتاب الخامس، ترجمة: عبد الرزاق العلي و محمود منقذ الهاشمي، ط٣، الناشر: دار التكوين، (٢٠١٦ م).

٧. الصادقي: الدكتور محمد، حوار بين الإلهيين والماديين، ط٢، الناشر: انتشارات فرهنك إسلامي، (طهران، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م).

٨. عامري: الدكتور سامي، مشكلة الشر ووجود الله، ط١، الناشر: مركز تكوين للأبحاث والدراسات، (الخبر- السعودية، ١٤٣٧ هـ/ ٢٠١٦ م).

٩. العاملي: الشيخ حسن محمد مكي، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل- محاضرات الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، ط٧، (قم المقدسة، ١٤٣٠ هـ).

١٠. العقاد: عباس محمود، إبليس، الناشر: دار نهضة مصر، (القاهرة، لا. ت).

١١. القرشي: الشيخ باقر شريف، موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ط١، الناشر: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، (١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م).

١٢. محمد علي ناصر، أصول الدين الاسلامي، الناشر: المكتبة العصرية،(صيدا، لا. ت).

١٣. مطهري: الشهيد آية الله مرتضى، العدل الإلهي، ط٢، الناشر: دار الإرشاد، (بيروت،

١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٥ م).

١٤. مغنية: الشيخ محمد جواد، التفسير الكاشف، ط٤، الناشر: دار الأنوار، (بيروت، لا. ت).

١٥. مغنية: الشيخ محمد جواد، فلسفة التوحيد والنبوة، ط٤، الناشر: دار الجواد ودار التيار الجديد، (١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م).

١٦. مغنية: الشيخ محمد جواد/ في ظلال نهج البلاغة، ط٣، الناشر: دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٧٩ م).

نهج البلاغة وشبهات الملحدين
مقاربات في مواجهة الأفكار الإلحادية

Nahjul- Balaga and suspicion of Aesthetes

Approaches against aesthetes' ideas

أ. د. محمد محمود زوين

جامعة الكوفة / كلية الفقه

Prof. Dr. Mohammed Mahmoud Zwain

University of Kufa \ College of Faqih

ملخص البحث

ليس بدعًا الحديث عن نهج البلاغة وما فيه من راسخ الفكر والدين والأدب والأخلاق والاجتماع.... فهو ذلك التجلي الإنساني لكتاب السماء القرآن الكريم، ولقد تلمس العلماء والمفكرون على مر العصور الماضية حقيقية ذلك، وآثارها الفاعلة في الحياة، ومن أعجب العجائب أنك تعيش مع نهج البلاغة كلما قرأته حراكًا عصريًّا وكأنه ينطق عن قضاياك، ويقارب همومك العلمية على تنوع مشاربها فكرًا وتطبيقًا، فهو كتاب ينطق بالحياة البليغة التي تؤدي مراد الغاية منها، وممَّا تؤدِّيه أيضًا كلمات وأساليب نهج البلاغة مراد البلاغة في مطابقتها لمقتضى الحال والمقام..... وأول ما يلفت الناظر المتبصِّر في نهج البلاغة أنه نسج على قاعدة القرآن الكريم في صياغاته وأساليبه وألفاظه وكلماته، ومنها معالجته لقضايا الفكر والعقيدة، ومن ذلك ما عرضه نهج البلاغة في مادة التوحيد وما يتصل بها من الصفات الإلهية..... وكان ممَّا جاء في عرض مسألة التوحيد ومعرفة الله تعالى إشارات الإمام (عليه السلام) في الردِّ على الجاحدين بوجوده والمشككين والمشبهين وبيان عجزهم وقصور ادراكهم ووعيهم بالله تعالى ومعرفتهم به.

لقد تجلى الخالق في قلب سيد الموحدين فكان التوحيد ومعرفة الله تعالى على لسانه وترجمان بيانه، وكانت (ظواهر الإنكار، ومعالم النقد والتنبيه) شاخصة في كلامه على من عميت بصيرته، وضلت معارفه عن انعقاد القلوب على وجوده وتوحيده وعلى الرغم من ذلك فالقلوب العمياء القاصرة عن الإدراك، العاجزة عن التمييز لا تملك غير الإقرار بوجود الله تعالى قهرًا بلازم ظهور البراهين والدلائل على وجوده، وانعدام إثبات الجحود بغير العناد في المقابل، فضلًا عن أنَّ الإنكار للموجود من سنخ المشبه لله تعالى، فلا وجود أصلًا لإله المشبِّه غير الوهم والضلالة عن الحقيقة، ومن ثمَّ فلا وجود لما لا وجود له إلا في أوهام الجاحدين والمعاندين في ظلِّ ثوابت الحقائق وسطوع براهين الوقائع على وجوده وتوحيده جلَّ شأنه وتنزَّه ذكره. يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَالوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ الْمُقَدِّرَ، وَأَنْكَرَ الْمُدَبِّرَ. زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلاَ لِاخْتِلاَفِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّة فِيمَا ادَّعَوا، وَلاَ تَحْقِيق لِمَا أَوْعَوْا، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَان، أَوْ جِنَايَةٌ مِن غَيْرِ جَان».

Abstract

Talk about Nahjul- Balaga is not you would it's deep thought religion morality and sociology. The Wonder wonders is that you live by Nahjul- Balaga a modern active every time you read it. And about monotheism and knowing Allah he replied "woe to those who deny the almighty and trespass against Allah. They claimed to be like grass without grower and there is no creator to their different shapes. They have not reported to evidence in claiming, no investigation in realizing. Is there a bleeding without builder or crime without criminal.

المقدمة

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود، ولا وقت معدود ولا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه.

وصلى الله على محمّد -صلى الله عليه وآله- الذي بعثه بالحقّ ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشّيطان إلى طاعته، بقرآن قد بيّنه وأحكمه؛ ليعلم العباد ربّهم إذ جهلوه، وليقرّوا به بعد إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ أنكروه وعلى أهل بيته مصابيح الظلم، وعصم الأمم ومنار الدين الواضحة، ومثاقيل الفضل الراجحة. صلى الله عليهم أجمعين صلاة تكون إزاء لفضلهم ومكافأة لعملهم. وكفاء لطيب فرعهم وأصلهم. ما أنار فجر ساطع وخوى نجم طالع.

وبعد...

لا يخفى على لبيب مقام كتاب نهج البلاغة، فهو الكتاب الألفي الذي نقل صورا من مشاهد بيئة المسلمين الإنسانية والحضارية وهو بعض فاعلية أمة في إنسان رسالي، ورسالي في أمة، تجسد فيه نقاء الرسالة الحقة فتمثلها واقعًا حيًّا موضوعيًّا شاخصًا يرتبط بالسماء ولا ينبت عنها، ويقود الحراك في الحياة ولا يعتزلها؛ بل نالها بحكمته وهدايته مصارعًا محنها وابتلائها وتحدياتها؛ فخط صلوات الله عليه نهجًا واقعيًّا في المواجهة، ونحا طريقًا ساميًا في مقارعة الانحرافات فكرًا وعقيدة؛ ولاسيَّما التي خالفت فطرة خلق الإنسان التي فطر الناس عليها، فقد سن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) نهجا

في مواجهة الإلحاد والملحدين تمثله أهل البيت (عليهم السلام) بأوضح المسالك، ولك أن تنظر فيما جرى بين الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) والدّيصاني المتزندق، وكيف استدل الإمام على وجود الله تبارك وتعالى، وكذا الأمر فيما نقل لنا التاريخ من مناظرات ومحاورات الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) مع أصحاب حركات الانحراف والزندقة من أمثال المانوية والمزدكية والزرادشتية إلى غير ذلك، وكيف كانت للإمام أبي الحسن (عليه السلام) وقفات ذكر لنا جانبًا منها: الطبرسي في كتابه الاحتجاج منها مناظراته مع الملاحدة والفرق المنحرفة.

وقد امتثل طريق أهل البيت (عليهم السلام) في مواجهة الإلحاد والملحدين كذلك أصحابهم وتلامذتهم أمثال هشام بن الحكم وغيره، فله مع كثير ممن عاصروه المواقف والحوارات والمناظرات.

ولم تكن فكرة هذه الوريقات إلا مقاربة تقوم على الإشارة لما في نهج البلاغة من منظومة قيمية وأسس علمية نحاول الإشارة اليها، ومقاربتها بنظر فكري نسعى لتوكيد ملامحه وترسيخ أفكاره.

لقد قام هذا البحث على مطلبين:

المطلب الأول:

الإطار المفهومي تناولت فيه عرض فهم المصطلح وحقيقة الإلحاد بوصفه يمثِّل وجهًا من وجوه التطرف الفكري واللاعقلانية في منهج التفكير العلمي، وألمحنا لأصول نشأة الإلحاد المعاصر واضطراب معتقديه، وتحول كبار قادته ومنظريه إلى القول بوجود الإله، وأهم مجالاته وسبل مواجهة تحديات الإلحاد المعاصر.

المطلب الثاني:

الإطار المنهجي وناقشت فيه ما تعلق بنهج البلاغة وشبهات

الملحدين؛ إذ استقرأت نصوص نهج البلاغة للوقوف على لباب رأي الإمام علي (عليه السلام) في الإلحاد أو الملحدين وشبهاتهم، وتطرقت إلى مقولات الإمام في ذلك. وما يتوجب ذكره هاهنا بأن نهج البلاغة تناول أبعادًا من ظاهرة الإلحاد، ولعلَّ معالم أخرى لا نجد لها نصًا صريحًا في الكتاب لأسباب منها بأنَّ أصل كتاب نهج البلاغة إنما هو اختيارات للسيد الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام).

وعلى أي حالٍ فقد تعددت مستويات الحديث عن الإلحاد وتنوعت أساليبه بحسب مناسباتها السياقية في الكتاب، وقد كان لكلام الإمام (عليه السلام) مقامات في الحديث عن الألوهية والتوحيد والاستدلال على الخلق، والبعث والنشور وغير ذلك مما له الصلة الوثيقة بالإلحاد ومدياته الفكرية والعقدية.

وختمت هذه الدراسة بأهم النتائج التي توصلت إليها، وكان من أهمها ضرورة ربط سياق ما جاء في نهج البلاغة من ذكر لهذه الظاهرة بكلام الإمام (عليه السلام) بصورة عامة في المأثور الذي ورد عنه في المصادر الروائية والتاريخية وما تعلق بقوله وفعله وتقريره؛ لتكتمل صورة معالجة الإمام (عليه السلام) لهذه الظاهرة التي تعصف بمن وهن فكره، ووهم فهمه، وضل سبيله عن عقلانية التفكير وفطرة السلوك الإنساني الى العبثية التي لا حد لها.

المطلب الأول:

ملامح فهم الإلحاد

الإطار المفهومي:

التطرف مصطلح يخاتل الفكر في الظهور عنوانًا لتوجهات الاعتقادات، حيناً ويختفي أحيانًا في ظل عقلانية الفكر ومنطقية أصوله وأسسه؛ وعليه فإن من أصدق

مظاهر التطرف الفكري الذي تنبذه حقائق فطرة الإنسان وجبلته التي خُلق عليها الإلحاد. «وليست ظاهرة الإلحاد جديدة على المجتمعات الإنسانية، ولا هي بغريبة عنها، إنها ظاهرة قديمة تنمو وتتطور، ثم تختفي لتنتهي أخيرًا إلى الذبول والفناء، ولقد بات نقد الفكر الإلحادي بوجه عام، والمعاصر فيه بوجه خاص ضرورة ملحة، ليس لأنه امتلك مناهج ومعطيات علمية جديدة زادته قوةً وتأثيرًا وحسب، وإنَّما لأنه يحظى بالتوجيه والتمويل من دول وجامعات لمحاربة الإيمان وأهله أيضاً»[1].

ويقينًا نعتقد ونرى بأن «الإلحاد المعاصر صناعة أوروبية حديثة وليس صناعة عربية إسلامية؛ وأن الأسباب النفسية والاجتماعية والشخصية هي الأسباب الأولى التي تقف في المقدمة عند تفسير ظاهرة الإلحاد؛ وأن الإلحاد المعاصر (إلحاد القرن الـ٢١) لا يُقارن بما سبقه من موجات إلحادية في القرون السابقة؛ إذ يتصف هذا الإلحاد بوقاحة وشراسة في العرض والهجوم لم تعهدها ساحات الجدال والمناظرات من قبل.

ومما يثير الانتباه، أن مقاومة الإلحاد لم تقتصر على "فرسانٍ" مسلمين عرب فقط، بل امتدت إلى "فرسانٍ" مسيحيين غربيين أيضاً، كان أبرزهم الفيلسوف الإنجليزي "أنتوني فلو Antony Flew"- والذي كان يُعد من أشهر ملاحدة العصر الحديث -صاحب كتاب- هناك إله: كيف غير أشهر ملحد رأيه" (٢٠٠٤). ذلك الفيلسوف الذي ظل يحارب الإيمان بالله قرابة خمسين عاماً، ثم انتهى به الحال -وبعد رحلة عقل طويلة- إلى إعلان حتمية وجود إله خالق ومُنظم لذلك الكون الفسيح؛ إذ تشهد الأدلة العلمية والفلسفية

والعقلية والمنطقية والرياضية على ذلك»[٢].

وما نمرّ به اليوم من أوهام وخرافات فكرية يطرحها أو يحاول صناعتها أرباب الظلاميين في بلادنا حول مدارات الدين في واقع مجتمعاتنا، ومسألة الإيمان به فاعلاً حقيقيًا في حياتنا أساسه وأصله الإيمان المطلق بالله تبارك شأنه إنما هو مؤشر يهتف بانحسار دور النخب المسؤولة في مجتمعاتنا، وبهامشية أثرها، وضيق مساحتها المؤثرة أمام تسارع في كسب الزمان والمكان فكراً وعملاً من جهة أصحاب المخططات العالمية لضرب الإسلام والمسلمين في عقر دارهم.

لم تكن الصاعقة التي أنزلها (أنتوني فلو)[٣] بالإلحاد والملحدين وأسسهم (خرافاتهم) الفكرية التي قامت عليها نظرتهم الكونية، فهو لم يكن يؤمن بوجود الإله فحسب؛ بل كان لا يؤمن بالمقدس وينكر كل ما تعلق به[٤].

إن حركة الالحاد الجديدة التي يقودها (الملحدون الجدد) أمثال (ريشارد دوكِنز) ودانيال دينيت، ولويس ولبرت وغيرهم لم تستطع التغطية على فشلها فحسب من تسويق الإلحاد؛ بل إنهم تجاهلوا الدلائل العالية والسامية على وجود الإله[٥].

وفي ظلِّ هذا التهاوي للفكر الإلحادي ومقولاته الفكرية في العالم بسبب «الخلل المنهجي في فهم الحقائق الواقعية للحياة البشرية وارتباطها بالبعد الغيبي»[٦]، ترى الدفع بمحاولة إجاد أرضية لصناعته في بلادنا، وقبل الولوج في صميم البحث لابدَّ من معرفة معنى الإلحاد ودلالته:

الإلحاد لغة: من لحد يلحد لحدًا: إذا مال إلى جانب عن الحدّ الذي

هو فيه، ويقال ألحد الرجل إذا مال عن الطريق الحق ومنه الاستعمال القرآني:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

وفي الاصطلاح: القول برفض الاعتقاد أو الإيمان بوجود الإله، وهو مصطلح تسالمت عليه جماعات تنكر وجود الإله؛ لأنَّها تزعم عدم وجود الأدلة المادية في إثبات وجوده مثل الحواس الخمسة وغيرها[٧].

فمدار ما ينقل من شياع (إلحاد) في واقع مجتمعنا المعاصر، ولاسيما في الأوساط العلمية أو المتعلمة والدعوة إلى التعامل مع الدين بصورة جديدة لا يحمل فيما أرى واعتقد إلا مظهراً من مظاهر ردّ الفعل عما تعرض له بلدنا، وأصاب مجتمعنا من واقع مرير كانت صفحاته العسكرية أوضح الصور في حرب جلّ معالمها حرب ناعمة، وغزو فكري خطط له، وحدّث العمل به ساعة بساعة، ولعل ما يقال عن الإلحاد وإن بدت مظاهره أو مقولاته الساذجة هنا وهناك يرتبط بمفاهيم سطحية عمَّن يزعمون الاعتقاد به علمًا فإنه أشبه «بجبل الجليد، فقاعدته العميقة تمثلها الجوانب النفسية، بينما تترتب عليها العوامل الشخصية وتحيطها العوامل المجتمعية (ماء المحيط)، حتى تظهر على السطح العوامل المعرفية التي يعلن بها الملحد عن نفسه، فما هذه العوامل؟ وكيف يحدث الإلحاد الذي يُبنى على أسباب نفسية بحتة في كثير من الحالات التي لا تمتلك

أسئلة بقدر ما تمتلك موقفًا نفسيًا سيئًا من الدين»[٨]، وعليه فاختلاط مفاهيمه (الإلحاد) بين التوجهات اللادينية (العلمانية)، أو التوجهات المتصلة بمَنْ ضعفت عقيدته بالعزوف عن الدين؛ فإنه لا يخرج في جلّ موضوعاته وصناعته عن مسائل مختلقة في جوهر إشكالياتها، وهي: «قضية وجود الشر في العالم، وقضية نشوء العالم صدفةً من مادة غير حية. وقضية حتمية أفعال الإنسان وسلوكياته، وقضية أفكار الغائية والكونية الأخلاقية، وقضية محاسبة الإله والمساواة بينه وبين المخلوق»[٩]، كل ذلك يأتي في إطار دعم خارجي يتقن إدارته، ويُحكم تناسق أدواره، ونظم خطوطه قوىً لها من الأهداف والقدرة المالية والإعلامية ما يسعها العمل في واقع حياة بلدنا [ما معنى أن تدعو السفارة الأمريكية الموهوبين العراقيين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ - ١٨ عام لمبادرة ثقافية تحمل عنوانًا بين السطور].

إن نظرة أولى لواقعنا المعاصر وما نحن فيه من تحديات عقدية دينية تشمل وجهات نظر متطرفة في أقصى درجات انزياح الفكر والعقلانية من منطق التفهم للحقائق الإلهية، لتكوّن أسس الفتنة في (الدين) وتقوّض ملامح فهمه ووعيه والتشبث فيه. يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) وكأنه ينطق عن حالنا: «**وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ، وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ، فَالْهُدَى خَامِلٌ، وَالْعَمَى شَامِلٌ، عُصِيَ الرَّحْمَنُ وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ، وَخُذِلَ الْإِيمَانُ؛ فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ؛ أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ،**

بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ، وَقَامَ لِوَاؤُهُ فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا؛ فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ فِي خَيْرِ دَارٍ، وَشَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ»[10].

إننا إزاء مرحلة أرى فيها أعداءَنا في شغلٍ دائم بنا يقول الإمام (عليه السلام): «لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ»[11] في كلّ يوم يُلقون لنا ما يمثل اختباراً لردة الفعل عندنا ليصلوا إلى الهدف الذي ينشدوه؛ وعليه فكل ما يشاع أو يظهر من ملامح الإلحاد إنما هو مقدمة لما هو جديد ومؤثر في نبذ الدين وفاعليته، وعلى الرغم من أن (الإلحاد -كظاهرة غربية- استقطب قطاعاً من الفلاسفة والمفكرين الغربيين والجماهير الغربية، منذ الجاهلية اليونانية وحتى العصر الحديث، وتعود الظاهرة تاريخياً إلى الفيلسوف اليوناني "ديموقريطس الأبديري" (حوالي ٤٦٠- ٣٧٠ قبل الميلاد). وقد أصبح الإلحاد مذهباً فلسفياً عبر تطور الحضارة الغربية، حيث بلغ ذروته في الماركسية بماديتها الجدلية والتاريخية التي هيمنت على أحزاب وحكومات ومجتمعات، وإن الماركسية مثلت أكبر ظواهر الإلحاد في التاريخ الإنساني، حتى جاء سقوطها المدوي في أوائل العقد الأخير من القرن العشرين، وعلى الرغم من سقوط الماركسية، ظلت ظاهرة الإلحاد ملحوظة؛ بل ومتزايدة في المجتمعات الغربية بسبب سيادة الفلسفة الوضعية المادية، وبسبب العلمانية التي نزعت القداسة عن كل مقدس، وعدم ورود تلك الظاهرة عبر تاريخ الحضارة الإسلامية»[12]، ولذا فإن سبل المواجهة هنا تقتضي جهوداً حركية دائمة تستشرف آليات

المعالجة الناجعة وتؤسس لقدرات المواجهة على وفق ما يأتي:

أولاً: الرد على الشبهات وترسيخ المعتقدات عبر تحيكم لغة العقل البرهاني والأدلة القاطعة.

ثانياً: عصرنة الخطاب العقدي ومحاولة تحديث آلياته على وفق طبيعة الحلول.

ثالثاً: الرصد والاستكشاف والتنبؤ المستقبلي، واستشراف التحديات القادمة والإعداد لها.

رابعاً: البناء الصحيح للمؤسسات والمراكز العلمية والاقتصادية والاجتماعية والتنموية.

خامساً: إقامة الدين عبر توظيف ما سبق واستثماره وأعني ما أقول فالفرق واضح كما في الفارق بين الصلاة، وإقامة الصلاة.

أعتقد أن تمثل هذه الخطوات يسهم في إنقاذ أنفسنا وأهلنا من التطرف في الفكر ولا سيما بعض مصاديقه في صورة الإلحاد.

المطلب الثاني:

نهج البلاغة وشبهات الملحدين

الإطار المنهجي: حاول البحث في أصل توجهه نحو استقراء نصوص نهج البلاغة للوقوف على لباب رأي الإمام علي (عليه السلام) في الإلحاد أو الملحدين وشبهاتهم على وفق اتجاهين في البحث والتقصي أحدهما يكمّل الآخر:

أ: **موضوعي**: يرصد عنوان الموضوع وملامحه في نصوص نهج البلاغة.

ب: **لفظي**: يهدف إلى استقراء جميع الألفاظ الدالة على الموضوع أو مما هي من لوازمه، ومن تلك الألفاظ:

«لحد، نكر، جَحَدَ، وصف، سبحان، تعالى» وكان من محصلة ذلك:

(١) أنك تجد الإشارة لمفهوم

الإلحاد جاء على لسان الإمام علي (عليه السلام) في عرض الحديث عن التوحيد في نهج البلاغة؛ إذ كانت نصوصه تلهج بالتوحيد بكل معالمه ومظاهره بدءاً من وجوب معرفة الله تعالى والدليل على وجوده يقول (عليه السلام): «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ "فِيمَ" فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ: "عَلَامَ" فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ»[13]، فقد اجتمعت في هذا النص صور التوحيد الذاتي (الواحدي والأحدي) وليس من وكد البحث الكلام حولها.

وعرض نهج البلاغة الأدلة على التوحيد منها قوله صلوات الله عليه في وصية للإمام الحسن (عليه السلام) «وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُه، وَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِه، وَسُلْطَانِه، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَه وَصِفَاتِه؛ وَلَكِنَّه إِلَه وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَه لَا يُضَادُّه أَحَدٌ فِي مُلْكِه....»[14].

فضلاً عن النتائج المترتبة على التوحيد من إثبات الأزلية والأبدية لله تعالى، يقول الإمام علي (عليه السلام) «الْحَمْدُ لله الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ»[15].

لقد تجلى الخالق في قلب سيد الموحدين، فكان التوحيد ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً على لسانه وترجمان بيانه، وتجلى القرآن العظيم ناطقاً بذلك في نصوص نهج البلاغة

لتوكيد الحقيقة بأن «جميع الموجودات مجبولة على التوحيد مخلوقة لأجله، وأن جميع الأنبياء والأولياء ما بعثوا إلا لإظهاره ودعوة الخلق إليه»[١٦].

(٢) ردوده صلوات الله عليه على المشككين والمشبهين والجاحدين والمنكرين الحافلة بأدلة التوحيد ونقض أصول منهج الشرك، ومباني مفاهيم الإلحاد والجحود بنعم الخالق الموجود، وهي بعد -أدلة الوجود والتوحيد- ناطقة مفوهة، وظاهرة مبيّنة حقيقة الواجد ووحدانيته على الرغم ممن ينكر لسانًا ويقر حالًا، ويشرك قولًا ويوحد صاغرًا واقعًا، فكفى بالله تعالى موجدًا أحدًا صمدًا يشهد بذلك إقرار الفطرة جهرًا، والقلوب سرًّا، يقول (عليه السلام): «**الْحَمْدُ لله الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ، فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ، سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ، وَقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ، فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ، لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ، تَعَالَى الله عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ، وَالْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبِيراً**»[١٧].

فقلب الجاحد وإن أنكر الإقرار بالله تعالى ووجوده بلسانه؛ فإنه رغماً عنه وقهراً سوف ينطق ويقرّ بوجدانه، «فهو تعالى الذي خلق العقل وغرز فيه فطرته الدالة عليه دلالة البرهان»[١٨].

ومن خطبة له (عليه السلام) يحمد فيها الله تعالى ويذكر آلاءه ونعماءَه ويذّكر برسول (صلى الله عليه وآله) ويستدل على قدرة الله تعالى في خلقه وينكر على مَن عمي وجحد الدلائل والبراهين الحية والعقلية وأنكر الواجد الخلّاق من

دون حجة ولا دليل يقول (عليه السلام): «فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ، وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ، وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ، وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ، وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ، وَجَحَدَ الْمُدَبِّرَ. زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ، وَلَمْ يَلْجَؤوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا (حفظوا)، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ»[19].

فإنك تلحظ كيف يستدل (عليه السلام) استدلالًا عقليًا يتسالم عليه العقلاء، ولا يمكن لعاقل ذي لب أن يرفضه، وهو على مَن أنكر وجحد حق الخالق عليه والمجد له أشد وقعًا وأعظم حجة؛ لأنه مقصد الاحتجاج وغاية الخطاب، وهذا الكلام يفقد المخاطب الدليل فلا يحير جوابًا، ولا يلتمس عذرًا، وهو سادر في أوهام الجحود والانكار، فضلاً عن ذلك فإن نهج الإمام (عليه السلام) ترسيخ القاعدة القائمة على أن (نظام الخلق قائم على أساس العليَّة ولابدَّ لكل معلول من علة، وإن كلَّ موجود إما علة وإما معلول يقول (عليه السلام): «وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ»)[20].

وفي خطبة له (عليه السلام) يذكر فيها بعثة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، واصفاً الناس حينها على وجه الأرض يقول: «وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لله بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِد فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِير إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ»[21].

فواقع الناس قبل البلاغ الإلهي والرحمَة العظمى بالرسالة والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) كانوا إما مشبّهين أو ضالين بالربوبية لغير الله تعالى،

واستنكار ذلك عليهم هو نهج علي صلوات الله عليه والتتابع بالاستدلال على وجود الله ومعرفته وتوحيده وقدرته في الخلق والأنعام متابعة لا تفتر ومتواليه لا تنقطع بكل أحواله في سيرته ومقاله.

أخلص إلى أنَّ منهج معالجة الإمام (عليه السلام) لما أشرت سابقاً هو الاستدلال العقلي والتقريب الحسي لما هو دليل منطقي لا يمكن إنكاره أو التغافل عنه فهو حجة قائمة وبرهان واضح، وهكذا هو حال في جميع كلامه وما جاء عنه يتجلى التوحيد فيها ولاسيما في نهج البلاغة؛ إذ الفكر يقابل الفكر ولا شيء غيره؛ غرضاً في ترسيخ هذا المنهج الفكري لنبذ كل انحراف وضلالة.

النتائج

• توصلت هذه الوريقات إلى ضرورة اعتماد صورة كاملة لظاهرة الإلحاد في كلام الإمام (عليه السلام) عن طريق نهج البلاغة الذي حفل ببعض ما سلطه (عليه السلام) على الإلحاد؛ لكون الكتاب في أصل تأليفه عبارة عن اختيارات للسيد الشريف الرضي (قد)؛ فضلًا عن تراثه الروائي لتتضح مشاهد معالجة الإمام للإلحاد من جهات متعددة.

• لعل من المتسالم عليه بين المفكرين المعاصرين أن الإلحاد في العصر الحديث إنما هو صناعة ناعمة تفتقد في مبانيها العقلانية والمنطقية في إجاباتها العلمية فضلًا عن إشكالياتها المعرفية؛ وعليه يمكن وصفها بالحراك العبثي المضطرب في سلوك معتقديه ناتج عن ردود أفعال نفسية واقتصادية وسياسية واجتماعية، وهو ما يؤيد كونه صناعة احترافية يجدد أصحابها الظلاميون أدواتهم مرارًا وتكرارًا.

• إذا كان الإلحاد صناعة؛ فإن الإيمان بوجود الإله الفطرة التي

لا شائبة فيها ومع كونها كذلك فإن الحاجة الملحة في عصرنا المتغيّر المشحون بعوامل نقض فطرة الإنسان وتحويل مساراته تستوجب ترسيخ الفطرة والذب عنها، وتعظيم قدرتها في مواجهة التحديات فكرًا وعملًا.

• ينبغي أن تكون سبل مواجهة هذه الظاهرة متناسبة مع كونها صناعة ومن دون استشراف حراكها الناعم وفاعليتها المتخفية طورًا والمعلنة أحيانًا في طيات المعاناة الإنسانية فكريًا واقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا، لا يمكن القضاء على تحدياتها العصرية بمدة قصيرة وبتضحيات قليلة.

• وقف الإمام (عليه السلام) من بعض شبهات الملحدين وتصوراتهم موقف المستدل المتعجب من غياب النظر الصحيح المتعقل، ولذا اتخذ صلوات الله عليه الدليل والبرهان العقلي حينا والحسي أحيانًا، والجمع بينهما مرة ثالثة طريقًا لإثبات الموجد والحجة على وحدانيته وقدرته وتدبيره.

• كان خطاب الإمام (عليه السلام) صريحًا مباشرًا عند ذكر أو وصف حال من عمي عليه الفكر النقي والتدبر السليم، وفي أحوال أخرى خطابًا عامًا يرسخ فيه إيمان من صحت عقيدته وسما فكره في عقلنة اعتقاده ومنطقية معرفته.

الهوامش

(١) اللاهوت المعاصر/ ٤٥٥.

(٢) نقد الإلحاد - رؤى إيمانية معاصرة: د. شيرين حامد فهمي.

(٣) أنتوني ريتشارد فلو أحد كبار الملاحدة في العصر الحالي ولد في بريطانيا ١٩٢٣- وتوفي عام ٢٠١٠ م، ألف أكثر من ثلاثين كتاباً في دحض فكرة الدين أشتهر عنه مقولته: إن على المرء أن يظلّ ملحداً إلى أن يجد الدليل التجريبي على وجود الإله، تحول في عام (٢٠٠٤م) إلى الإيمان بالإله وتخلى عن الإلحاد وألف كتاباً نسخ فيه كل كتبه السابقة. ينظر: هناك إله، أنتوني فلو: ٣.

(٤) ظ: هناك إله: ١١.

(٥) ظ: هناك إله: ٢٢٧.

(٦) اللاهوت المعاصر: ٤٣٧.

(٧) ظ/ ثغرات في جدار الإلحاد: مجلة الاستغراب/ العدد: ٧.

(٨) لماذا ينتشر الإلحاد/ سامح عودة. مقال منشور على موقع:
https://www.aljazeera.net/midan/intellect/sociology/201826/7/

(٩) نقد الإلحاد: رؤى إيمانية معاصرة، د. شيرين حامد فهمي.

(١٠) نهج البلاغة: ٧١- ٧٢.

(١١) المصدر نفسه: ٧٨.

(١٢) نقد الإلحاد: رؤى إيمانية معاصرة: د. شيرين حامد فهمي.

(١٣) نهج البلاغة: ١/ ١٤.

(١٤) نهج البلاغة: ١/ ٣١.

(١٥) المصدر نفسه: ٢١١- ٢١٢.

(١٦) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، حيدر بن علي الآملي: ٤٩.

(١٧) نهج البلاغة: ١/ ٩٨.

(١٨) شرح نهج البلاغة (مخطوط)/ الشيخ ياسر كاشف الغطاء.

(١٩) المصدر نفسه: ٢/ ١١٧.

(٢٠) ظ: التوحيد في نهج البلاغة/ ٧٥.

(٢١) نهج البلاغة: ١/ ٢٥.

المصادر

القرآن الكريم

• التوحيد في نهج البلاغة، رزاق حسين فرهود، (رسالة ماجستير غير مطبوعة)، بإشراف: أ. د. نعمة محمد إبراهيم، كلية الفقه- جامعة الكوفة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

• ثغرات في جدار الإلحاد: محمد عثمان الخشت، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد/ ٧.

• جامع الأسرار ومنبع الأنوار/ السيد حيدر بن علي الآملي، تحقيق: هنري كربين و عثمان إسماعيل يحيى، ترجمة: سيد جواد طباطبائي، مطبعة انتشارات علمي، إيران، ١٣٦٨ ش.

• شرح نهج البلاغة، الشيخ ياسر كاشف الغطاء (نسخة خطية مكتبة المؤلف).

• اللاهوت المعاصر دراسات نقدية، التعاريف والكليات، مجموعة مؤلفين، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، ط١، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٧م.

• لماذا ينتشر الإلحاد، سامح عودة، موقع الجزيرة نت.

• نقد الإلحاد: رؤى إيمانية معاصرة: د. شيرين حامد فهمي، موقع خطوة للتوثيق والدراسات.

• نهج البلاغة، وهو ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، حققه وضبط نصه الشيخ قيس بهجت العطار، مؤسسة الرافد للمطبوعات، بيروت، لبنان،ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

• هناك إله، كيف غير أشهر ملحد رأيه، أنتوني فلو، ترجمة د. صلاح الفضلي، مراجعة وتعليق الشيخ د. مرتضى فرج، العتبة العباسية المقدسة، ط٢، ١٤٣٨هـ.

حديث المنزلة بين الدلالة القرآنية والمراد النبوي – دراسة عقدية

"Status" Hadith between Quranic Indication and prophetic Intention, Ideological study

أ. م. د. محمد حسين عبود
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

Assist. Prof. Dr. Muhammad Hussein Abboud
University of Karbala \ College of Islamic Sciences

ملخص البحث

لقد منَّ الله تعالى على عباده بأن أرسل لهم أنبياء ينذرونهم يوم المعاد، ويذكرونهم بالعهد الذي قطعوه للجبار، وقد توالت الرسل وكلًّا يهيئ الأمر لمن بعده، حتَّى وصل الدور لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ﷺ)، فأدَّى الرسالة وبلَّغ عن الله تعالى ما حمَّله من الأمانة، وصدع بأمره فلم يترك من جهده شيئًا في سبيل نشر الإسلام والدعوة إليه، ولَّما أتمَّ واجبه وحان رحيله كلَّفه الله تعالى بأن ينصِّب خلفاء من بعده، فأجهر بالقول وأكَّد المضمون في حوادث شتَّى مصرِّحًا بخلفائه الاثني عشر، وأوَّلهم أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، الذي نصَّ عليه بأحاديث كثيرة، ومن تلك الأحاديث حديث المنزلة، الذي أثبت فيه له كلَّ المنازل التي لهارون من موسى عدا النبوَّة، وكانت أولى تلك المنازل ثبوتًا الخلافة والإمامة من بعده.

وقد جاء هذا البحث كاشفًا عن دلالات هذا الحديث ومستنطقًا عبر المقاربة العقائدية بين دلالته القرآنية، وأحاديث النبي (ﷺ) الساعية لأثبات إمامته وخلافته (عليه السلام)، وقد استلزم البحث أن يكون على مبحثين ولكل مبحث مطلبين، تناول الأول حديث المنزلة وطرق روايته، فيما كان المبحث الثاني في المقاربة العقدية بين الدلالة القرآنية والمراد النبوي، ثم نتائج البحث، والهوامش فمصادر البحث. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين.

Abstract

Allah sent prophets to warn people against doom day successively. Prophet Mohammed (pbuh) was the last prophet. When he completed his mission, Allah commanded him to state publicly that there are twelve caliphs after him Imam Ali is the first one. Prophet Mohammed mentioned him in many hadiths, “staus” hadith was one of it in which the prophet assured all the status for Harun from Musa except prophecy. The first status was the imamate. The research reveals connection of this Hadith between Quranic indication and prophet Hadith.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المخلصين....

لقد أرسل الله الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) مبشرين ومنذرين، لطفا بعباده ورحمة بخلقه وإتمامًا لحجته، وختمهم بنبي الإنسانية محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي أرسله سبحانه وتعالى رحمة ونعمة ليس للمسلمين فحسب بل لغيرهم، وليس لعالم الإنسان بل لكل العوالم المخلوقة، قال تعالى: ﴿وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء/ ١٠٧]، وما ذاك إلا لأن الإسلام ناسخ الأديان، ومحمدا (صلى الله عليه وآله) خاتم الأنبياء.

من هنا تتبين لنا سعة الدين الإسلامي وعالميته، من دون سائر الأديان السماوية وغيرها؛ ولأنه على هذا النحو، فقد أوكل الله بكتابه (القرآن الكريم) حفظة ورعاة، يذودون عن حريم الشريعة وبيضة الإسلام، وهم الإمتداد الطبيعي لوجود نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله)، وأقصد بهم أئمة الهدى الاثني عشر (عليهم السلام)، الذين حفظ الله بهم الأرض أن تميد بأهلها، وكانوا بحق عدل القرآن وترجمانه العملي.

وأولهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي كان خليفة النبي (صلى الله عليه وآله) ووصيه، بأمر الله سبحانه وبنص الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولقد تناصفت أحاديث رسول الرحمة (صلى الله عليه وآله) في حق أهل بيته (عليهم السلام)، بين قسم فيهم وقسم في حق علي (عليه السلام)، تنبيها للأمة بأنه (عليه السلام) الخليفة من بعده من غير فصل.

ولذا فقد وردت في حقه (عليه السلام) طائفة واسعة من الأحاديث، التي تؤكد على المقام السامي الذي تحظى به الخلافة متجسدة في شخصه (عليه السلام)، ومنها حديث المنزلة الذي ساق

وأثبت كل منازل هارون، له (عليه السلام).

من ثم فقد سعى البحث إلى استنطاق هذا الحديث، وتسليط الضوء عليه عبر المقاربة العقائدية بين دلالته القرآنية، وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) الساعية لأثبات إمامته وخلافته (عليه السلام)، وقد استلزم البحث أن يكون على مبحثين ولكل مبحث مطلبين، تناول الأول حديث المنزلة وطرق روايته، فيما كان المبحث الثاني في المقاربة العقدية بين الدلالة القرآنية والمراد النبوي، ثم نتائج البحث التي توصل لها الباحث، والهوامش فمصادر البحث، والحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد وآله الطاهرين وأصحابه المخلصين.

المبحث الأول:

مفهوم حديث المنزلة وطرق روايته

تستلزم منهجية البحث العلمية -ابتداء وقبل الولوج في بيان المفهوم والمراد من حديث المنزلة-، أن نقف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهومي (حديث) و(المنزلة)، وذلك من دون باقي مفردات العنوان؛ بوصفهما مدار البحث والمحور الذي يرتكز عليه؛ ولذا اقتضى المبحث أن ينفرط عقده في مطلبين:

المطلب الأول: المعاني اللغوية والاصطلاحية لحديث المنزلة:

أولا: معنى الحديث لغة: ورد في لسان العرب «الحديث الجديدُ من الأَشياء، والحديث: الخَبَرُ يأْتي على القليل والكثير، والجمع: أَحاديثُ، كقطيع وأَقاطِيعَ، وهو شاذٌّ على غير قياس، وقد قالوا في جمعه: حِدْثانٌ وحُدْثانٌ، وهو قليل؛ أَنشد الأَصمعي:

تُلَهِّي المَرْءَ بالحِدْثانِ لَهْواً... وتَحْدِجُه، كما حُدِجَ المُطِيقُ وبالحُدْثانِ أَيضاً؛ ورواه ابن الأَعرابي: بالحَدَثانِ، وفسره، فقال: ذا أَصابه حَدَثانُ

الدَّهْرِ من مَصائِبه ومَرارِئه، أَهْتَه بدَلِّها وحَدِيثها عن ذلك وقوله تعالى: ﴿إن لم يُؤْمِنوا بهذا الحديث أَسَفاً﴾؛ عنى بالحديث القرآن؛ عن الزجاج، والحديثُ: ما يُحَدِّثُ به المُحَدِّثُ تَحْديثاً؛ وقد حَدَّثه الحديثَ وحَدَّثَه به، الجوهري: المُحادثة والتَّحادُث والتَّحَدُّثُ والتَّحْديثُ: معروفات»[1]، «والحديث: الكلام، وجمعه: أحاديث، والأحاديث: جمع أحدوثة، وهي الحديث العجيب، والحديث قد يطلق على الرؤى والأحلام، قال الله تعالى: ﴿ويُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ﴾»[2] [سورة يوسف/ ٦].

ثانيا: الحديث اصطلاحا: يعرّفه علماء الحديث: «بأنه ما صدر عن النبيّ (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي، ويتوسع آخرون فيجعلونه ما نقل عن النبيّ (ﷺ) وعن غيره»[3]، و«في حديث عليّ (عليه السلام) إلى كميل: «مَعْرِفَةُ العِلْمِ دِينٌ يُدانُ به، به يَكْسِبُ الإنسانُ الطاعَةَ في حَياته، وجَميل الأُحدُوثَةِ بعد وَفاته»، يقال: صار فلان أحدوثة: أكثروا فيه الأحاديث، والحَدَث: الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد، ولا معروف من السنّة»[4].

ويمكن القول أن هناك مقاربة معنوية -إلى حد ما- بين معنى الحديث في اللغة ونظيره في الاصطلاح، فالحديث «لغة: هو ضد القديم»[5]، واصطلاحا: هو الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد.

ثالثًا: المنزلة: لغة: «النُّزُول: الحلول، وقد نَزَلَهم ونَزَل عليهم ونَزَل بهم يَنْزِل نُزُولاً ومَنْزَلاً ومَنْزِلاً»[6]، «والمنزل بضم الميم وفتح الزاي الإنزال..... والمنزل بفتح الميم والزاي النزول وهو الحلول تقول نزل ينزل نزولا ومنزلا وأنزله

غيره واستنزله بمعنى ونزله تنزيلا والتنزيل أيضا الترتيب والتنزل النزول في مهلة والنازلة الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس»[٧]، «والمَنْزِل والمَنْزِلة: موضع النُّزول»[٨].

رابعا: المنزلة اصطلاحا: يمكن تعريف المنزلة بأنها: نحو من المكانة التي لا ينالها إلا من حظي بمواصفات خاصة ومؤهلات معينة، و«هي المرتبة وهي الأمر الثابت»[٩]، وقد تضمن الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) هذا المعنى في تفسيره حين عد الشهادة المنزلة الثالثة للنبوة[١٠]، في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [سورة النساء/ ٦٩].

من هنا فإن المنزلة هي المقام التي خص الله بها أقواما دون غيرهم.

المطلب الثاني: مفهوم حديث المنزلة والمراد منه:

يتطلب الوقوف على مفهوم الحديث وحقيقة المراد منه -بلا شك- بيان نص الحديث، فقد نقل الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) في أماليه حديثا طويلا «عن حكيم بن عبد الرحمن، قال: حدثني مقاتل بن سليمان، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام): يَا عَلِيُّ، أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هِبَةِ اللهِ مِنْ آدَمَ، وَبِمَنْزِلَةِ سَامٍ مِنْ نُوحٍ، وَبِمَنْزِلَةِ إِسْحَاقَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، وَبِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، وَبِمَنْزِلَةِ شَمْعُونَ مِنْ عِيسَى، إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، يَا عَلِيُّ، أَنْتَ وَصِيِّي وَخَلِيفَتِي، فَمَنْ جَحَدَ وَصِيَّتَكَ وَخِلاَفَتَكَ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَأَنَا خَصْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَا عَلِيُّ، أَنْتَ أَفْضَلُ أُمَّتِي فَضْلاً، وَأَقْدَمُهُمْ سِلْماً، وَأَكْثَرُهُمْ عِلْماً، وَأَوْفَرُهُمْ حِلْماً، وَأَشْجَعُهُمْ قَلْباً، وَأَسْخَاهُمْ كَفّاً،

يَا عَلِيُّ أَنْتَ اَلْإِمَامُ بَعْدِي وَاَلْأَمِيرُ، وَأَنْتَ اَلصَّاحِبُ بَعْدِي وَاَلْوَزِيرُ، وَمَا لَكَ فِي أُمَّتِي مِنْ نَظِيرٍ، يَا عَلِيُّ، أَنْتَ قَسِيمُ اَلْجَنَّةِ وَاَلنَّارِ، بِمَحَبَّتِكَ يُعْرَفُ اَلْأَبْرَارُ مِنَ اَلْفُجَّارِ، وَيُمَيَّزُ بَيْنَ اَلْأَشْرَارِ وَاَلْأَخْيَارِ، وَبَيْنَ اَلْمُؤْمِنِينَ وَاَلْكُفَّارِ»[11]، ونقل المجلسي (ت ١١١١هـ) في البحار «عن العباس بن معروف عن علي بن مهزيار عن فضالة بن أيوب عن أبان بن عثمان عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) خالد بن الوليد إلى حي يقال لهم بنو المصطلق من بني خزيمة وكان بينهم وبين بني مخزوم احنة في الجاهلية، وكانوا قد أطاعوا رسول الله وأخذوا منه كتابا لسيرته عليهم، فلما ورد عليهم خالد أمر مناديه ينادي بالصلاة فصلى وصلوا، ثم أمر الخيل فشنوا عليهم الغارة فقتل فأصاب فطلبوا كتابهم فوجوده فاتوا به النبي (صلى الله عليه وآله) وحدثوه بما صنع خالد بن الوليد فاستقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) القبلة، ثم قال اللهم إني أبرء إليك مما صنع خالد بن الوليد، قال: ثم قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بتبر ومتاع، فقال لعلي (عليه السلام) يا علي ائت بني خزيمة من بني المصطلق فارضهم مما صنع خالد بن الوليد، ثم رفع (صلى الله عليه وآله) قدميه فقال يا علي أجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك، فأتاهم علي (عليه السلام) فلما انتهى إليهم حكم فيهم بحكم الله عز وجل، فلما رجع إلى النبي (صلى الله عليه وآله) قال: يا علي أخبرني بما صنعت فقال: يا رسول الله عمدت فأعطيت لكل دم دية، ولكل جنين غرة ولكل مال مالا وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة كلابهم وحبلة رعاتهم وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون ولما

لا يعلمون، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله، فقال (صلى الله عليه وآله): أعطيتهم ليرضوا عني رضي الله عنك، يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[١٢]، وفي رواية ثالثة تضع أيدينا على أحد أهم أسباب حديث المنزلة، هو ماورواه المازندراني (ت ١٠٨١هـ) في شرح أصول الكافي «عن مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب [عليه السلام] في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»[١٣]، فالحديث واضح المعالم في بيان تلك المنزلة، إذ أن المكان الطبيعي والمألوف لأمير المؤمنين (عليه السلام) -حين الحرب- أن يكون ملازمًا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) كتفًا لكتف، ذابًّا عن حمى الإسلام وذائدًا عن حياضه، كما أن أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) اعتادوا أن يروا عليًّا (عليه السلام) في طليعة المقاتلين في سبيل الله.

ولذا جاء الحديث من رسول الرحمة (صلى الله عليه وآله)، ليضع النقاط على الحروف ويبين حقيقة الأمر، ويكشف النقاب -للمسلمين جميعا- عن أن الاستخلاص لا يعدو أن يكون بيانًا لمنزلة علي عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومقامه، وأن منزلته (عليه السلام) منه (صلى الله عليه وآله) بمنزلة هارون من موسى (عليهما السلام).

من هنا يتبين لنا أن الحديث إنما سُمي واشتهر بحديث المنزلة، بسبب ورود هذا المفهوم -المنزلة- في نصه، والدال بشكل صريح على أن مقام أمير المؤمنين (عليه السلام) بالنسبة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، لا يختلف -تماما- عن مقام هارون بالنسبة لموسى (عليهما السلام)، سوى النبوة، ولكي نقف على حقيقة الأمر، لابد لنا من عودة

لنصوص القرآن التي تناولت بيان مقام هارون (عليه السلام)، التي سيمر عليها الباحث في المبحث الثاني بإذن الله.

كيفما يكن الأمر فالحديث بصدد الكشف عن المقام السامي والشأن العالي لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وأن له ما لهارون بن عمران (عليه السلام) من الطاعة والولاية والخلافة والوصاية، دون النبوة التي خُتمت بسيد المرسلين وخاتم النبيين (صلى الله عليه وآله)، وهو ما يستلزم -بطبيعة الحال- تسليم الأمة لأمر الله سبحانه وطاعة الرسول (صلى الله عليه وآله) والعمل بمضامين هذا الحديث؛ لأنه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب/ ٣٦]، ومن أبى إلا العصيان فإن ﴿مَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [سورة الأحزاب/ ٣٦].

فالحديث إذن يشير بنحو جلي ويمهد الأمة ويحثها، باتجاه الانقياد لأوامر السماء، وموالاة علي (عليه السلام)، سواء في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله)، أو بعد رحيله وسواء بعد توجه النبي (صلى الله عليه وآله) لغزوة تبوك أو لغيرها.

ولا يخفى ما في قوله (صلى الله عليه وآله): «أنت مني...»، من تقارب وتلاصق، بل وانصهار واندماج بينه (صلى الله عليه وآله) وبين أمير المؤمنين؛ لأنه نفسه وروحه واستمرارية دعوته (صلى الله عليه وآله)؛ لذا ترى أن هذه (المِنّيَة) -إن جاز التعبير- وردت في غير موطن وموضع، سعيا للتأكيد وتأكيدا على القطع بانحصار هذا المكانة بعلي (عليه السلام) فحسب.

المطلب الثاني: طرق رواية حديث المنزلة:

بعد أن تبين لنا المراد من حديث المنزلة، لابد للبحث من الوقوف على طرق روايته، التي تعددت وتنوعت بتنوع الرواة وتعدد روايتهم للحديث الشريف، الذي ورد عن

الفريقين اللذين زخرت مصادرهما الحديثية بهذا الحديث، ولذا استلزم المطلب أن يقف على طرق الفريقين:

الأول: طرق الجمهور:

لقد تعددت طرق رواية حديث المنزلة في كتب الجمهور الحديثية، وقد ورد بنص واحد، غير أنه بطرق متعددة -كما سيأتي- وفي أمهات مصادر الحديث كصحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند أحمد وسائر المسانيد والسنن الأخرى، فمرة يُروى عن أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)، وأخرى عن صحابياته ونسائه، وثالثة عن التابعين وهكذا.

إذ يقول ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) في الاستيعاب: «وهو من أثبت الآثار وأصحّها، رواه عن النبي (صلى الله عليه وآله) سعد بن أبي وقاص، وطرق حديث سعد فيه كثيرة جدّا، ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره، ورواه ابن عباس، وأبو سعيد الخدريّ، وأم سلمة، وأسماء بنت عميس، وجابر بن عبد الله، وجماعة يطول ذكرهم»[١٤]، فقد نقل أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) رواية حديث المنزلة بطرق مختلفة عن أسماء بنت عميس، وعن أبي سعيد الخدري، وكذا «عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن سعد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي»[١٥]، كما نقله مسلم في صحيحه عن سعيد بن المسيب أيضا، ولكن على نحو أوثق وأوكد؛ وذلك من جهة سعي التابعي سعيد بن المسيب الى الاطمئنان من رواية الحديث -بنحو ميداني-، حين توجه إلى الصحابي سعد بن أبي وقاص كونه أحد نقلة الحديث، وليس بينه وبين النبي (صلى الله عليه وآله) من واسطة إلا أبيه، فعن «سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي

أنت منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي قال سعيد فأحببت ان أشافه بها سعدا فلقيت سعدا فحدثته بما حدثني عامر فقال انا سمعته فقلت أنت سمعته فوضع إصبعيه على اذنيه فقال نعم والا فاستكتا»[16]، ومع أن فحوى الحديث المذكور في صحيح مسلم مروي عن سعد بن أبي وقاص ووالده، غير أن ابن ماجة ينقل لنا حديث المنزلة، بنحو آخر وبتفصيل جديد، عن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله (ﷺ)، مباشرة و من غير أن يكون بينه وبين الرسول (ﷺ) راو آخر كوالده أو غيره، «فعن ابن سابط، وهو عبد الرحمن، عن سعد بن أبي وقاص، قال: قدم معاوية في بعض حجاته، فدخل عليه سعد، فذكروا عليا، فنال منه، فغضب سعد، وقال: تقول: هذا لرجل سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، وسمعته يقول أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وسمعته يقول: لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله»[17]، وقد صرّح الترمذي في سننه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح»[18].

ونقل ابن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥هـ) بطريق آخر عن «فضيل بن مرزوق عن زيد بن أرقم أن النبي (ﷺ) قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[19]، ولو تابعنا ابن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ) في كتاب السنة لوجدنا طريقا جديدا لنقل الحديث، مع إضافة جديدة لم ترد في المصادر المذكورة آنفا، غير أنها تفيد الحديث تأكيدا وتكسبه توثيقا، إذ يروي «عن أبي عوانة، عن يحيى ابن سليم أبي بلج عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ)

لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست نبيا إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي في كل مؤمن من بعدي»[٢٠]، إلى غيرها من الأحاديث الكثيرة والغزيرة، التي تناولت حديث المنزلة بطرق شتى وبزيادات متقاربة توثق نص الحديث الثابت «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي»، وأنه في حق علي (عليه السلام).

الثاني: طرق الإمامية:

أما الإمامية فقد تعددت طرقهم أيضا في رواية حديث المنزلة، ولكن بتفصيل أكثر بيانا وأوفر تبيانا، عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، تحكي عن عظيم عناية أئمة الهدى (عليهم السلام) بهذا الحديث، وكذا عن طائفة من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ ينقل الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) الحديث بقوله: «حدثنا الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي بالكوفة، قال: حدثنا فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، قال حدثنا محمد بن علي بن معمر، قال: حدثنا أحمد بن علي الرملي، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق المروزي، قال: حدثنا عمرو بن منصور، قال: حدثنا إسماعيل بن أبان، عن يحيى بن كثير، عن أبيه، عن أبي هارون العبدي، قال: سألت جابر بن عبد الله الأنصاري عن معنى قول النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، قال: استخلفه بذلك والله على أمته في حياته وبعد وفاته وفرض عليهم طاعته فمن لم يشهد له بعد هذا القول بالخلافة فهو من الظالمين»[٢١]، كما ينقل الخزاز القمي (ت ٤٠٠هـ) بقوله: «حدثنا محمد بن وهبان بن محمد البصري، قال حدثنا الحسين بن علي البزوفري، قال حدثني عبد العزيز بن يحيى

الجلودي بالبصرة، قال حدثني محمد بن زكريا، عن أحمد بن عيسى بن زيد، قال حدثني عمر بن عبد الغفار، عن أبي بصير، عن حكيم بن جبير، عن علي بن زيد بن جذعان، عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن مالك أن النبي (ﷺ) قال: **يا عَلِيُّ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، تَقضِي دَينِي وتُنجِزُ عِدَاتِي وتُقَاتِلُ بَعدِي عَلَى التَّأوِيلِ كَمَا قَاتَلْتَ عَلَى التَّنزِيلِ، يا عَلِيُّ حُبُّكَ إِيمَانٌ وبُغضُكَ نِفَاقٌ، ولَقَدْ نَبَّأَنِي اللَّطِيفُ الخَبِيرُ أَنَّهُ يَخرُجُ مِنْ صُلبِ الحُسَينِ تِسعَةٌ مِنَ الأَئِمَّةِ مَعصُومُونَ مُطَهَّرُونَ، ومِنهُم مَهدِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّذِي يَقُومُ بالدِّينِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ كَمَا قُمتَ فِي أَوَّلِهِ»**[٢٢]، وفي طريق آخر من طرق رواية حديث ينقلها الميرجهاني (ت ١٣٨٨هـ) عن الإمام الباقر (عليه السلام)، يرويها عن أمير المؤمنين (عليه السلام) نفسه «حدثنا أحمد بن عبد العزيز بن الجعد قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح قال حدثنا شعيب بن راشد عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال قام علي (عليه السلام) يخطب الناس بصفين يوم جمعة وذلك قبل الهرير بخمسة أيام فقال: **اَلْحَمْدُ لله عَلَى نِعَمِهِ اَلْفَاضِلَةِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ اَلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ وَعَلَى حُجَجِهِ اَلْبَالِغَةِ عَلَى خَلْقِهِ مَنْ عَصَاهُ أَوْ أَطَاعَهُ إِنْ يَعْفُ فَبِفَضْلٍ مِنْهُ وَإِنْ يُعَذِّبْ فَبِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَمَا اَللهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ أَحْمَدُهُ عَلَى حُسْنِ اَلْبَلاَءِ وَتَظَاهُرِ اَلنَّعْمَاءِ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَا نَابَنَا مِنْ أَمْرِ دِينِنَا وَأُومِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلاً... وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَنَظَرَ إِلَيَّ رَسُولُ اَللهِ (ﷺ) وَأَنَا أَضْرِبُ قُدَّامَهُ بِسَيْفِي فَقَالَ لاَ سَيْفَ إِلاَّ ذُو اَلْفَقَارِ وَلاَ فَتَى إِلاَّ عَلِيٌّ ثُمَّ قَالَ لِي يَا عَلِيُّ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي... الخ الرواية»**[٢٣].

خلاصة القول أن المتتبع لنص الحديث في كتب الفريقين، يلمس أن حديث المنزلة قد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله)، في أكثر من مناسبة، وفي مواطن مختلفة، حتى بلغ حد التواتر، إن لم يكن متواترا، كيف لا؟! وقد نقله أكثر من عشرين من الصحابة والتابعين فضلا عن كبريات صحابيات النبي (صلى الله عليه وآله)، يدل على ذلك تكاثر الروايات وتنوع طرق نقل الحديث، الأمر الذي يلفت الأنظار الى جملة نقاط:

أولا: أن تلك المنزلة التي حظي بها أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنما هي منزلة ربانية وهبها الله سبحانه له، وأمر رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) بتبليغ الناس بذلك.

ثانيا: تكشف عناية النبي (صلى الله عليه وآله) البالغة بعلي (عليه السلام)، عن تهيئته لاستلام منصب الخلافة من بعده؛ كونه أولى الناس بأنفس المؤمنين بعده (صلى الله عليه وآله).

ثالثا: شحذ أسباب الاستعداد في نفوس أفراد الأمة، على التسليم لخلافته والإيمان بأنها أمر من الله سبحانه، لا محيص من الالتزام به وتنفيذه.

المبحث الثاني:
المقاربة العقدية بين الدلالة القرآنية والمراد النبوي

يسلط الباحث في هذا المبحث الضوء على المقاربة العقدية بين ما ورد من الدلالة القرآنية لحديث المنزلة، وما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله)، وذلك عبر التمعن في الآيات التي تناولت مقام هارون من موسى (عليهما السلام)(*) ومقام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وذلك عبر المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا

مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [سورة طه/ ٢٥- ٣٢]:

والآيات حاكية عن مقامات هارون (عليه السلام)، ومؤكدة لثبوت «جميع هذه المنازل -الثابتة لهارون من موسى- لأمير المؤمنين (عليه السلام) من خاتم النبيين الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)»[٢٤]، ومبينة لجملة من المراتب التي كان يتمتع بها هارون (عليه السلام)، بعد أن استجاب سبحانه لدعوة موسى (عليه السلام)، ما أكد تلك المقامات في حق أمير المؤمنين (عليه السلام)، هو ما تحدث به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمام أصحابه وفي مسجده المبارك، فقد نقل الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) وغيره «عن الأعمش عن عبادة بن الربعي، قال: بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم إذ أقبل رجل متعمم بالعمامة فجعل ابن عباس لا يقول، قال رسول الله: إلاّ قال الرجل: قال رسول الله؟ فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ قال: فكشف العمامة عن وجهه، وقال: يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جُندب بن جنادة البدري، أبو ذر الغفاري: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهاتين وإلاّ صمّتا ورأيته بهاتين وإلاّ فعميتا يقول: عليّ قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله أما إني صليت مع رسول الله يوماً من الأيام صلاة الظهر فدخل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد إني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً وكان علي راكعاً فأومى إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما فرغ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) من الصلاة فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن أخي

موسى سألك، فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ الآية، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾، اللهم وأنا محمد نبيّك وصفيّك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أُشدد به ظهري، قال أبو ذر: فو الله ما استتم رسول الله الكلمة حتى أنزل عليه جبرئيل من عند الله، فقال: يا محمد اقرأ، فقال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ إلى ﴿رَاكِعُونَ﴾»[٢٥].

والحق أن المتأمل لهذه الرواية والمتفحص لكلماتها، يلمس بوضوح جملة من الأمور المهمة، التي لا تخفى على ذي لب وهي:

أولا: لا يخفى أن الاقتران الآني من جهة الزمان والمكان بين الدعاء الصادر عن النبي (صلى الله عليه وآله) -عقب حادثة التصدق بالخاتم- الذي كان بلسان موسى بن عمران (عليه السلام)، ودعائه، وبين نزول آية الولاية، حاك بشكل جلي عن أن مكانة علي (عليه السلام) من رسول (صلى الله عليه وآله) هي عين مكانة هارون من موسى (عليهما السلام)، ومن أجل إتمام الحجة، ولكي لا يبقى لذي عذر عذر، نزلت آية الولاية لتحدد المهام المناطة بأمير المؤمنين (عليه السلام)، وأن له الولاية التامة على المؤمنين، كما هي لنبي الرحمة (صلى الله عليه وآله) من غير فرق، تماما إلا النبوة.

ثانيا: إن مسجد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، من دون أي مكان آخر، كان الوعاء المكاني -إن صح التعبير- الذي احتضن دعاء النبي (صلى الله عليه وآله)، في حق أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو ما يكشف عن عظمة الدعاء وخطورة الأمر الذي صرح به نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله)، بحيث أن مسجد النبي (صلى الله عليه وآله)، -الذي هو من أشرف وأنبل

البيوت التي وصفها سبحانه بقوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [سورة النور/ ٣٦]- كان منطلقا وداعيا ومروجا لهذا الأمر.

ثالثا: إن القراءة العفوية للمعاني الظاهرة للمفردات التي وردت في دعاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، الحاكية عن قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾، المبينة للمنازل، وهي (الوزارة والأخوة وشد الأزر والإشراك في الأمر)، ثم قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد هذا الدعاء -مباشرة-: «فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾»، تفيد بنحو قطعي عن أن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو وصيه ووزيره وخليفته (صلى الله عليه وآله وسلم) -من غير فصل- كما كان هارون (عليه السلام) كذلك.

غير أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، لم يكتف بهذا البيان، على الرغم من تماميته وكماله في إلقاء الحجة على أصحابه، فراح يدعو، ويصرّح باسم علي (عليه السلام)، وأنه المعني بمقامات هارون وبمنزلته، وأنه (عليه السلام) منه (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما كان هارون من موسى (عليهما السلام)، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «اللهم وأنا محمد نبيّك وصفيّك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أُشدد به ظهري»، ولتكون الحجة أبلغ والدليل أبين، ليس لأصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل لكل الأجيال، فقد استجاب الباري سبحانه وتعالى لدعاء نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [سورة المائدة/ ٥٥].

والحق إن المتتبع لسلسلة الأحداث في رواية أبي ذر -المارة آنفا- يطمئن ويستقر في قلبه أن النبوة والولاية

نوران من مشكاة واحدة، وأن مقام الإمامة الامتداد الطبيعي للرسالة، الحافظ لها الصائن لأهدافها وغاياتها؛ لذا فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: «عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[٢٦].

المطلب الثاني: قوله تعالى:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾

[سورة الشعراء/ ٢٤١]:

إذ يذكر المفسرون والمحدثون والمؤرخون وغيرهم -في سبب نزولها- أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) جمع عشرته ليدعوهم الى الله سبحانه، إذ ينقل الحاكم الحسكاني -بما اشتُهر بحديث الإنذار- «عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعا وعرفت أني متى أمرتهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليها حتى جاء جبرئيل فقال: يا محمد إنك لئن لم تفعل ما أمرت به يعذبك الله بذلك فاصنع ما بدا لك. يا علي اصنع لنا صاعا من طعام واجعل فيه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن، ثم أجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به -وساق الحديث إلى قوله: ثم تكلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم أحدا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يوازرني على أمري هذا،

على أن يكون أخي ووصيي ووليي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعا، فقلت -وإني لأحدثهم سنا، وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا-: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لعلي»[٢٧].

والواقع يمكن أن نستلهم من المقاربة العقدية بين آية الإنذار وحديث الدار من جهة وحديث المنزلة من جهة أخرى جملة أمور:

أولا: إن حديث الدار كانا ممهدا لحديث المنزلة، وأن الرسول (صلى الله عليه وآله)، أراد تتطويع نفوس القوم في قبول خلافة علي (عليه السلام)، وترويضها على الإذعان لذلك من أول أيام بعثته المباركة، كيما تُسلّم لمراتبه ومقاماته (عليه السلام)، التي أعرب عنها حديث المنزلة وغيره من الأحاديث والآيات.

ثانيا: إن آية الإنذار وحديث الدار كانا يعلنان بصورة واضحة، عن احتياج النبوة للإمامة، وانهما لا ينفكان عن بعضهما، فكما أن نبوة هارون كانت ملازمة لنبوة موسى (عليهما السلام)، ومنذ الأيام الأولى لنبوته، فكذا كانت إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام)، ملازمة لنبوة المصطفى (صلى الله عليه وآله)، منذ الأيام الأولى للدعوة.

ثالثا: أن من لطائف وروائع ما أبان عنه حديث الدار في حق علي (عليه السلام)، وهو لما يزل صبيا، هو ذلك التشابه الملحوظ بين المنازل التي حظي بها في هذا الحديث، وبين تلك التي أماط عنها اللثام حديث المنزلة وهي: الوزارة والأخوة والوصاية والولاية والخلافة، الأمر الذي يلفت الأنظار الى الوحدة الموضوعية والأهداف الرسالية، بين آيات القرآن وأحاديث نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله) في حق أمير المؤمنين (عليه السلام)، لتنادي

آناء الليل وأطراف النهار -وبما لا يقبل الشك- وتدعو الناس بضرورة الاعتقاد بإمامته (عليه السلام) والتصديق بها شأنها شأن النبوة؛ لأنها على صعيد واحد.

نتائج البحث

توصل البحث بعد تلك الرحلة العلمية مع طائفة من الآيات والروايات المتعلقة بحديث المنزلة إلى طائفة من النتائج:

أولا: إن النبي (صلى الله عليه وآله) امتثل لأوامر الله في الدعوة لإمامة علي (عليه السلام) من أول يوم لدعوته المباركة عبر آية الإنذار وحديث الدار.

ثانيا: إن حديث المنزلة كان معبرا دقيقا عن استحقاق أمير المؤمنين (عليه السلام) لمنصب الإمامة والخلافة والوصاية عبر التشبيه والمطابقة بين ما كان لهارون (عليه السلام) من موسى (عليه السلام)، وما سيكون لعلي (عليه السلام) من النبي (صلى الله عليه وآله).

ثالثا: إن قول النبي (صلى الله عليه وآله): (أنت مني...) تعني أن الامتداد والاستمرارية للرسالة منوطة بشخص علي (عليه السلام)، ومَنْ بعده من أئمة الهدى (عليهم السلام).

رابعا: إن الخلافة الحقة ـ بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ـ هي لعلي (عليه السلام) من غير فصل، وبالنص الإلهي المبلغ من قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله).

خامسا: إن النبوة والإمامة على صعيد واحد من التسليم والاعتقاد؛ لأنهما من مشكاة واحدة.

سادسا: يمكن أن يُفاد من فحوى الآيات التي تناولت خلافة هارون لموسى (عليهما السلام)، وأن ما جرى له ولأمته بعد غيبة موسى (عليه السلام)، سيجري على أمير المؤمنين وأمة النبي (صلى الله عليه وآله) من الانقلاب على الأعقاب.

هوامش البحث

(١) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين (٧١١هـ): لسان العرب/ ط (١٤٠٥)/ نشر أدب حوزة ٢/ ١٣٣.

(٢) محمود عبد الرحمن عبد المنعم (معاصر): معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية/ دار الفضيلة ١/ ٥٥٦.

(٣) م. ن ١/ ٥٥٧.

(٤) عادل عبد الرحمن البدري (معاصر): نزهة النظر في غريب النهج والأثر/ ط١ (١٤٢١هـ)/ مؤسسة المعارف الإسلامية قم- إيران/ ١٦٧.

(٥) محمود عبد الرحمن عبد المنعم: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية١/ ٥٥٧.

(٦)ابن منظور: لسان العرب ١١/ ٦٥٦.

(٧) الرازي: محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ): مختار الصحاح/ تحقيق أحمد شمس الدين/ ط١ (١٤١٥هـ)/ دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ٣٣٥.

(٨) م. ن ١١/ ٦٥٨.

(٩) الميلاني: السيد علي الحسيني (معاصر): نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار/ ط١ (١٤٢٠هـ)مطبعة ياران ١٨/ ٩٧.

(١٠) ظ: الرازي: فخر الدين: مفاتيح الغيب ٩/ ١٧.

(١١) الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ): الأمالي/ ط١ (١٤١٧هـ)/ مؤسسة البعثة- قم/ ١٠١.

(١٢) المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١هـ): بحار الأنوار/ حمد الباقر البهبودي، عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط٢/ (١٤٠٣هـ)/ نشر مؤسسة الوفاء- بيروت- لبنان ٢١/ ١٤٢.

(١٣) المازندراني: مولى محمد صالح (ت ١٠٨١هـ): شرح أصول الكافي/ ط١ (١٤٢١هـ)/ طبع ونشر دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان ١١/ ٣٧٣.

(١٤) ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ تحقيق علي محمد البجاوي/ ط١ (١٤١٢هـ)/ دار الجيل- بيروت- لبنان٣/ ١٠٩٧.

(١٥) أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): مسند أحمد بن حنبل/ دار صادر- بيروت ١/ ١٧٩، ٣/ ٣٢، ٦/ ٣٦٩.

(١٦) مسلم النيسابوري (ت ٢٦١هـ): صحيح مسلم/ دار الفكر بيروت- لبنان ٧/ ١٢٠.

(١٧) القزويني: محمد بن يزيد: ابن ماجة (ت ٢٧٣هـ): سنن ابن ماجة/ تحقيق محمد فؤاد عبد

الباقي/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١/ ٤٥.

(١٨) الترمذي (ت ٢٧٩هـ): سنن الترمذي/ تحقيق عبد الرحمن بن عثمان/ ط٢ (١٤٠٣هـ)/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان ٥/ ٣٠٤.

(١٩) ابن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥هـ): المصنف/ تحقيق سعيد اللحام/ ط١ (١٤٠٩هـ)/ دار الفكر للطباعة والنشر بيروت- لبنان ٧/ ٤٩٦.

(٢٠) ابن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ): كتاب السنة/ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني/ ط٣ (١٤١٣هـ)/ المكتب الإسلامي بيروت- لبنان/ ٥٥١.

(٢١) الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ): معاني الأخبار/ تعليق علي أكبر غفاري/ ط (١٣٧٩هـ)/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة/ ٧٤.

(٢٢) الخزاز القمي: أبو القاسم علي بن محمد (ت ٤٠٠هـ): كفاية الأثر في الأئمة الاثني عشر/ تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني/ ط (١٤٠١هـ)/ مطبعة الخيام- قم/ ١٣٥.

(٢٣) الميرجهاني: حسن (ت ١٣٨٨هـ): صباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ٢/ ١٤٢.

(*) من لطائف ما ورد من ذكر نبي الله هارون (ﷺ)، أن اسمه ورد في القرآن الكريم (١٢) مرة، بعدد الأئمة الاثني عشر (ﷺ)، فهو وصي نبي الله موسى(ﷺ)،وكذا امير المؤمنين (ﷺ)والد الأئمة الاثني عشر وصي رسول الله (ﷺ).

(٢٤) الميلاني: نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ١٧/ ١٠.

(٢٥) الثعلبي (٤٢٧هـ): الكشف والبيان في تفسير القرآن/ ط١ (١٤٢٢هـ)/ طبع ونشر دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان ٤/ ٨١ ، الحاكم الحسكاني: عبيد الله بن أحمد (ت ٥هـ): شواهد التنزيل لقواعد التفضيل/ تحقيق محمد باقر المحمودي/ ط١ (١٤١١هـ)/ مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي- مجمع إحياء الثقافة الإسلامية١/ ٢٣٠ ، الزرندي الحنفي: محمد (٧٥٠هـ): درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين/ ط١ (١٣٧٧هـ) ٨٧ ، محمد عزة دروزة (ت ١٤٠٤هـ): التفسير الحديث/ ط٢ (١٤٢١هـ)/ دار الغرب الإسلامي ٩/ ١٦٢، وغيرها كثير.

(٢٦) الترمذي: سنن الترمذي٥/ ٣٢٨ ،

النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ): فضائل الصحابة/ دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان/ ١٥، وغيرها كثير.

(٢٧) الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل ١/ ٤٨٦ ، البغوي (ت ٥١٠هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن/ تحقيق خالد عبد الرحمن العك/ طبع ونشر دار المعرفة- بيروت ٣/ ٤٠٠ ، محمد عزة: التفسير الحديث ٣/ ٢٧٠ ، الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت- لبنان٢/ ٦٣ ، ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن (ت ٣٦٠هـ): الكامل في التاريخ/ ط (١٣٨٦هـ)/ دار صادر للطباعة والنشر- دار بيروت للطباعة والنشر ٢/ ٦٣، وغيرها كثير.

مصادر البحث

القرآن الكريم خير الكلام وإمام الأنام.

١. ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ/ ط (١٣٨٦هـ)/ دار صادر للطباعة والنشر- دار بيروت للطباعة والنشر.

٢- أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ):مسند أحمد بن حنبل/ دار صادر- بيروت.

٣. البغوي (ت ٥١٠هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن/ تحقيق خالد عبد الرحمن العك/ طبع ونشر دار المعرفة- بيروت.

٤- الترمذي (ت ٢٧٩هـ): سنن الترمذي/ تحقيق عبد الرحمن بن عثمان/ ط٢ (١٤٠٣هـ)/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان.

٥- الثعلبي (٤٢٧هـ): الكشف والبيان في تفسير القرآن/ ط١ (١٤٢٢هـ)/ طبع ونشر دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.

٦. الحاكم الحسكاني: عبيد الله بن أحمد (ت ٥هـ): شواهد التنزيل لقواعد التفضيل/ تحقيق محمد باقر المحمودي/ ط١ (١٤١١هـ)/ مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي- مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

٧. الخزاز القمي: أبو القاسم علي بن محمد (ت ٤٠٠هـ): كفاية الأثر في الأئمة الاثني عشر/ تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني/ ط (١٤٠١هـ)/ مطبعة الخيام- قم.

٨. الرازي: محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ): مختار الصحاح/ تحقيق أحمد شمس الدين/ ط١ (١٤١٥هـ)/ دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.

٩. الزرندي الحنفي: محمد (٧٥٠ هـ): درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين/ ط١ (١٣٧٧هـ).

١٠. ابن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥هـ): المصنف/ تحقيق سعيد اللحام/ ط١ (١٤٠٩هـ)/ دار الفكر للطباعة والنشر بيروت- لبنان.

١١. الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ): الأمالي/ ط١ (١٤١٧هـ)/ مؤسسة البعثة- قم.

١٢. معاني الأخبار/ تعليق علي أكبر غفاري/ ط (١٣٧٩هـ)/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٣. الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت- لبنان.

١٤. عادل عبد الرحمن البدري (معاصر): نزهة النظر في غريب النهج والأثر/ ط١ (١٤٢١هـ)/ مؤسسة المعارف الإسلامية قم- إيران.

١٥. ابن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ): كتاب السنة/ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني/ ط٣ (١٤١٣هـ)/ المكتب الإسلامي بيروت- لبنان.

١٦. ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ تحقيق علي محمد البجاوي/ ط١ (١٤١٢هـ)/ دار الجيل- بيروت- لبنان.

١٧. المازندراني: مولى محمد صالح (ت ١٠٨١هـ): شرح أصول الكافي/ ط١ (١٤٢١هـ)/ طبع ونشر دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان.

١٨. محمد عزة دروزة (ت ١٤٠٤هـ): التفسير الحديث/ ط٢ (١٤٢١هـ)/ دار الغرب الإسلامي.

١٩. محمود عبد الرحمن عبد المنعم (معاصر): معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية/ دار الفضيلة.

٢٠. المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١هـ): بحار الأنوار/ حمد الباقر البهبودي، عبد الرحيم الرباني الشيرازي ط٢/ (١٤٠٣هـ)/ نشر مؤسسة الوفاء- بيروت- لبنان.

٢١. مسلم النيسابوري (ت ٢٦١هـ): صحيح مسلم/ دار الفكر بيروت- لبنان.

٢٢. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين (٧١١هـ): لسان العرب/ ط (١٤٠٥)/ نشر أدب حوزة.

٢٣. الميرجهاني: حسن (ت ١٣٨٨هـ): صباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة).

٢٤. الميلاني: السيد علي الحسيني (معاصر): نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار/ ط١ (١٤٢٠هـ) مطبعة ياران.

٢٥. النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ): فضائل الصحابة/ دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

البنية التركيبية القرآنية وأثرها
في توجيه المعنى الخطبة – القاصعة أنموذجا

The Quranic Compositional Structure and It's Impact

on Meaning Directing.

Alqasiea sermon as an example.

م. م. خالد عبد النبي عيدان الأسدي

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

Assist. Lectur. Khaled Abdul Nabi Idan Al-Asadi

University of Karbala \ College of Islamic Sciences

ملخص البحث

نهج البلاغة ومنهل البراعة ومنتهى الصياغة؛ كتابٌ ملأ الدنيا وشغل الناسَ ببلاغته وأسلوبه، بخطبه وحكمه، بغزارة علمه، ومكنوناته التي تتجدد كلَّما تقادمت الأيام وأبرزت العلومُ جديدها، يجد الباحثون ضالتهم فيه بعد كتاب الله تعالى، وصفوه بأنَّه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، فهو نيل أوطار النور، وصراط المعرفة، ومعين العقول، اختزن بين دفتيه جواهراً لا توجد في غيره دون كتاب الله، ولذا فاخترنا منه جوهرة ثمينة ألا وهي (الخطبة القاصعة) المباركة؛ إذ قدَّمها أمير البلاغة والكلام علي (عليه السلام) هديَّة لينقذ الناس الذين جرفهم سيل الأهواء، واغتروا بالدنيا، وباعوا آخرتهم بثمنٍ بخس، وتكبروا وتغطرسوا وعاثوا في الأرض فسادًا، فأراد أن يُعيدهم إلى جادة الصواب بأسلوبه الذي لا يقبل النقض، فجاء البحث في دراسة تراكيب هذا الأسلوب إذ جاء العنوان (البنية التركيبية وأثرها في توجيه المعنى -الخطبة القاصعة مثالًا-) واقتصرنا على البناء التركيبي من ماهية الجملة وتقلباتها، ونقصد بالبنية التركيبية ههنا؛ البنية التركيبية البلاغية لا النحوية، وهذا ما يُفصح عنه علم المعاني في علوم البلاغة، فجاءت خطة البحث بتمهيد وثلاثة مباحث تنتهي بخاتمة احتوت على أبرز النتائج التي تمخضت من البحث.

Abstract

Nahjul- Balagha is a book highly praised for it's eloquence, style, sermons, wisdoms, knowledge which renewed over time. Researchers find their targets after Quran. Nahjul- Balagha described as words over creature talk less that creator talk, so we choose Alqasiea sermon which presented cy Imam Ali (pbuh) as present to save people who fail to control whim. This research entitled the Quranic compositional structure and It's Impact on Meaning Directing. I mean by composition structure the rhetoric compositional structure not grammatical structure. This research contains introduction, three section and conclusion.

المُقدِّمة

الحمد لله الذي أنار دياجي الليل المظلم بعطفه وعفوه، والشكر له على ما هدانا ووفقنا ومنَّ علينا بخير الأديان، ووعدنا بالجنان، والصلاة والسلام على فيض الوجودات، ومنجي الهلكات، والرحمة المهداة من ربِّ السماوات محمد بن عبد الله خير خلق الله، وعلى آله المصطفين الموحدِّين العارفين المنتجبين الطاهرين الأكرمين.

وبعد..

كتابٌ ملأ الدنيا وشغل الناسَ ببلاغته وأسلوبه، بخطبه وحكمه، بغزارة علمه، ومكنوناته التي تتجدد كلَّما تقادمت الأيام وأبرزت العلومُ جديدها، يجد الباحثون ظالتهم فيه بعد كتاب الله تعالى، وصفوه بأنَّه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، ألا وهو نهج البلاغة ومنهاج البراعة وصراط المعرفة ومعين العقول، فاخترنا منه جوهرة ثمينة ألا وهي (الخطبة القاصعة) المباركة، قدَّمها أمير البلاغة والكلام علي (عليه السلام) هديَّة لينقذ الناس الذين جرفهم سيل الأهواء، واغتروا بالدنيا، وباعوا آخرتهم بثمنٍ بخس، وتكبروا وتغطرسوا وعاثوا في الأرض فسادا، فأراد أن يُعيدهم إلى جادة الصواب بأسلوبه الذي لا يقبل النقض، فجاء البحث في دراسة تراكيب هذا الأسلوب إذ جاء العنوان (البنية التركيبية وأثرها في توجيه المعنى- الخطبة القاصعة مثالًا) واقتصرنا على البناء التركيبي من ماهية الجملة وتقلباتها، فجاءت خطة البحث بتمهيد وثلاثة مباحث تنتهي بخاتمة احتوت على أبرز النتائج التي تمخضت من البحث.

ففي التمهيد: درسنا ماهية البنية التركيبية ومختصر تعريفي عن الخطبة القاصعة المباركة.

والمبحث الأول: درسنا فيه الجملة الخبرية وأثرها في توجيه المعنى، ومن ثمَّ التطبيقات في الخطبة الشريفة.

أمَّا المبحث الثاني: فكان من حصة الجملة الإنشائية للوقوف على أثرها في توجيه المعنى الموجه عبرها للمتلقين.

في حين جاء المبحث الثالث: بدراسة مفهوم التقديم والتأخير في الخطبة، وكيفية توجيه المعنى عبرهما بأغراضهما المختلفة.

وبعد ذلك انتهى البحث بخاتمة فيها جلُّ النتائج التي توصل إليها البحث، ومن ثمَّ قائمة بالمصادر والمراجع.

علمًا أنَّ الخطبة المباركة فيها من البنية التركيبية أكثر بكثير ممّا ذكرناه؛ لكننا اقتصرنا على هذه المباحث لأنَّها الأبرز والأكثر إيرادًا في مفاصل علم البلاغة، ومن جهة أخرى جاء اقتصارنا للاختزال وضيق الوقت وعدم الإطناب، ولعلَّ الله يوفقنا في قابل الأيام لنُكمل ما تبقى من البنية التركيبية في بحث مستقل إن شاء الله تعالى، وأنَّنا لا ندعي الكمال لبحثنا هذا بقدر ما نراه خطوة نحو الجد والاجتهاد، آملين أن يفيد غيرنا من صحيحه ويعمد إلينا من يرى فيه عيوبًا بعيوبه كي نصححها (ورحم الله من أهدى إلينا عيوبنا).

التمهيد: البنية التركيبية

توطئة

يُقصد بالتركيب هو ما يُقابل الإفراد من الألفاظ، فالإفراد يدخل في دراسته علم التصريف والإعراب من الدراسات اللغوية، في حين دراسة التراكيب ما اختصت بها علوم البلاغة، والكلام العربي يتكون من ركنين أساسيين لا بدَّ من وجودهما في عمود الكلام ليكونَ كلامًا يحسن السكوت عليه؛ وهما (المسند والمسند إليه)، إمَّا أن يكونا

(مبتدأ وخبر) أو (فعل وفاعل) هذا في اصطلاح النحويين، وإذا حُذف أحد هذين الركنين ؛ يلجؤون إلى التقدير[1] والتأويل وإيجاد العلَّة من الحذف، ولا يمكن أن يخلو كلامٌ من هذين الركنين وإلّا لم يكن ذا فائدة.

ودراسة التراكيب عبر علوم البلاغة قد ساهمت مساهمة كبيرة في تحليل المعنى المراد من النص وفهمه، فإنَّ «كلام المخاطب قد لا يكفي في فهمه معرفة الألفاظ وتراكيب الجملة؛ بل يحتاج إلى معرفة الأسلوب الذي استعمله المتكلم، ففي قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود/ ٨٧]، تجد أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ ظاهره المدح؛ لأنَّ هذه الألفاظ ألفاظ مدح، ولكن السياق يدل على أن هذا الأسلوب أسلوب تهكم وسخرية»[2]، فإنّ السياق له السلطة الرئيسة على توجيه المعنى ولا يمكن التخلي عنه أو قطع تركيب معينٍ منه وإصدار حكم على هذا القطع؛ لأنَّه يذهب بروح المعنى المراد من المجمل.

أمَّا الحذف؛ فللعرب ميدانٌ واسع في ذلك، ولكن اشترطوا الدليل على المحذوف؛ فإذا دلَّ عليه دليل؛ جاز حذفه، وإلّا لا يجوز الحذف[3]، وسبب الحذف جاء للاختصار، لأنَّ العرب تميل إلى الإيجاز فيكتفي السامع بالألفاظ المذكورة فيعلم بتمامها[4]، وأمَّا الإطناب أو الإسهاب في الكلام العربي يتبيَّن عبر علم المعاني هل هو تطويل بلا طائل؟ أمْ له غرض آخر؟ وهل التكرار جاء بسبب نسيان أو عجز المتحدث؟ أم لغرض آخر؟ وكذلك ذكر العام ومن ثمَّ يأتي على ذكر الخاص والعكس.

أمَّا تقلبات الجمل فلها أثرها في إثراء المعنى وبيان قصد المتحدث من ذلك، مثلًا: (التقديم والتأخير، الحصر، الفصل والوصل، التعريف والتنكير، الالتفات) كل ذلك يتبيَّن عبر دراسة أحوال الجملة في السياق كما سيتبين في مفاصل البحث إن شاء الله تعالى.

• الخطبة

عُرف عن العرب القدامى الخطابة والشعر وإن كان الثاني أبرز وأكثر انتشارًا في الأوساط العربية، إلاّ أنَّ الخطابة لا تقل أهمية عنه، وفي صدر الإسلام تقدمت قدم الخطبة على كعب الشعر وأخذت بالريادة والصدارة؛ لحاجة الدعوة الإسلامية إلى ذلك، ذلك أنَّ صاحب الرسالة الرسول الأعظم (ﷺ) كان خطيبًا له من البلاغة في الخطاب ما ليس لغيره من العرب على الرغم من فصاحتهم وبلاغتهم إلا أنَّه (ﷺ) كان له قصب السبق إلى الطليعة لأنَّه أديب الله تعالى، وفي هذا الوقت برز من الخطباء العرب الداعين إلى الإسلام كثير، يتقدمهم أمير البلاغة والكلام سيد الأوصياء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ونهج البلاغة قمين بالشهادة عليه، كان كلامه (عليه السلام) في الأسماع أمضى من سيفه في الرقاب، كان يصفع الشبهة بالحُجة الدامغة، ملازم لكتاب الله ملازمة الظل للشاخص، وقد تحول أمر الخطابة في عهده (عليه السلام) تحوُّلا لم يسبق له نظير في الإسلام، حيث كان أمر الخطابة أمرًا دفاعيًّا وموضوعها اثبات النبوة وتوحيد الله ضد المشركين واليهود والنصارى وغيرهم، في حين صار أمرها في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) اثبات إمامته، والتسليم له، واثبات أحقيته في الخلافة، وبيان وجوب اطاعته فكان مخطط الخطابة في صدر الإسلام

كالآتي:

* في عهد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)

خطب المسلمين ضد المشركين

اليهود

النصارى

* في عهد الإمام علي (عليه السلام)

خطب الإمام ← ضد ← معاوية

أصحاب الجمل

جيشه الذي لا يُطيعه

ولو أمعنا النظر بين العهدين لوجدنا أن عهد الإمام (عليه السلام) كان أصعب من عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالنسبة لمفاصل الخطابة، لأنَّ الإثبات لهؤلاء الخارجين كان صعبًا جدًا، فهم لا يُريدون أن يفهموا ولا يبحثوا عن الحقيقة لأنَّهم يعرفونها بيد أنَّهم لا يرتضونها، ولذا كانت خطبه (عليه السلام) تمتاز بالحجاج وقوَّة الكلمة، وجزالة المعنى والاستشهاد المباشر بالبيان والشعر والقرآن، ومنها ما جاء في الخطبة القاصعة المباركة كما سيتبين لنا في مادة البحث.

*** الخطبة القاصعة:**

تسميتها: في اللغة جاءت بمعنى القتل والتحقير، قصع فلانٌ فلانًا حقره، وقصع الرجل البعوضة قتلها[٥]، وربما جاءت تسميتها بسبب تحقير الإمام (عليه السلام) لإبليس وذم الدنيا وقتل أهواء الناس الذين ساروا وراء أهواءهم دونما علم، «لأنَّ سامعها لو كان متكبرًا ذهب تأثيرها بكبره كما يذهب الماء بالعطش»[٦]، فلم تختلف تسميتها بين اللغة والاصطلاح، إذ كلاهما بمعنى تحقير الدنيا واتباعها وقتل الأهواء.

تتمحور مفاصل الخطبة القاصعة حول ذم إبليس على استكباره الذي كان سببًا في معصيته لله تعالى، وقد أظهر العصبية لعنصره (النار) وظنَّه وهن عنصر التراب المتمثل بآدم

(عليه السلام)، وكذلك تُحذِّر الخطبةُ الناسَ من سلوك ذات الطريق الذي سلكه إبليس؛ لأنَّه يؤدي بهم إلى ما وقع به إبليس ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ • وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر٣٤- ٣٥].

والجدير بالذكر أنّنا نجد أنَّ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أولَ حاكم وأول رئيس أو خليفة يطالب الناسَ بحقهِ؛ إذ لا نجد حاكمًا في التاريخ يشكو ظلم الرعية له سواه، ولم يتوانَ بإرشادهم وتحذيرهم من السقوط في مزالق الدهر والدنيا، فمن طبيعة الحكم أنَّ الرعية يشكون الحاكم وظلمه، ولكن هذا انعكس تمامًا في دولة العدل الإلهية، وصار الحاكم يشكو ظلم رعيته له، وعلى الرغم من الآلام التي كابدها منهم لم يفتأ يدعوهم لما يُحييهم ويحذرهم وساوس الشياطين وحبائل إبليس والنفس الأمارة بالسوء بلغة عربية فصيحة بليغة، تخلو من المجوجة والنفور في الألفاظ، بتراكيب توحي إلى السامع مدى حرص الباث على حياته الدينية والدنيوية، وهذا ما سنراه في المباحث اللاحقة إن شاء الله.

المبحث الأول:
الخبر وأثره في توجيه المعنى وتطبيقه في الخطبة

تنقسم الجملة في عُرف أهل البلاغة على جملة خبرية وجملة إنشائية، وعن طريق هذا التقسيم يتم معرفة ماهية الجملة ونوعيتها، وبعد ذلك يُشرع في دراسة حدِّها وأقسامها أو أضربها وأغراضها البلاغية، وعلى هذا الأساس سنبحث في الخبر للتعرف على ماهية الجملة الخبرية وأضربها ومن ثمّ تطبيقها.

الخبر: حدَّه، أنواعه، أغراضه وتطبيقاته.

في اللغة: عرَّف أهل اللغة الخبر بأنَّه العلم بالشيء[٧]، وهو «(خبرت بالأمر) أي: علمته، و(خبرت بالأمر، اخبره) إذا عرفته على حقيقته، و(الخبر) -بالتحريك-: واحد الأخبار، و(الخبر): ما آتاك من نبأ عمن تستخبر، و(الخبر): النبأ، و(خبره بكذا، واخبره): نبأه»[٨]، «فالخبيرُ في صفاته [تعالى] بمعنى العالم ببواطن الأمور وظواهرها، وبما كان منها، وما يكون: والخبر: النبأ، وهو الكلام الذي يُفيد به المتكلم السامع واقعةً من الواقعات»[٩]، وهذه التعريفات تؤمن بوجود الترادف في اللغة والقرآن الكريم، ومن غير الممكن أن تكون لفظتان تختلفان بالبنية تجتمعان في المعنى «فإن الكلمات العربية اكتنفها الغموض، مما أفقد اللفظ إيحاءه وظلاله، فلم نعد -نحن العرب- نملك رهافة الحس التي كانت تكشف الفرق ما بين لفظتي "قرب- اقترب" أو "فكر- افتكر"، حتى لم نعد نعرف الفرق بين كلمتي "سار- سارب"... وما أشبه»[١٠]، وبذلك فإن الفرق بين اللفظة وأختها بتغيير حرف واحد واضح، فكيف إذا كانت اللفظة تختلف عن الأخرى تمامًا مثل [الخبر والنبأ]؟. فالخبر ما كان إخبار بشيء أقل أهميَّة من النبأ، والنبأ يأتي في الأخبار الهامَّة التي تسترعي الإنتباه وربما للتحذير.

الخبر في الاصطلاح: تكاد كلمة أرباب البلاغة تجتمع على تعريف الخبر اصطلاحًا على أنَّه: ما يحتمل الصدق والكذب لذاته[١١] فلا يُقطع بصحة الخبر «لكن هذا التعريف لا ينطبق على القرآن الكريم لأنه ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت (٤٢)]، ولا على قول الرسول الأعظم (ﷺ) لأنه «لا

ينطق عن الهوى» ولا على كلام أهل البيت (عليهم السلام) لأن الله تعالى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، والكذب من الرجس، فكلامهم صدق ولا يحتمل غير ذلك والمراد بالصدق هو ما طابق الواقع، والكذب ما خالفه»[١٢]، وهنا نرى أن الخبر في كلام المعصوم لا يمكن أن يحتمل الكذب، في حين عند غيره يحتمل ذلك.

أنواع الخبر: للخبر أنواع ثلاثة: الخبر الابتدائي: وهو ما خلا من المؤكِدات، والخبر الطلبي: وهو ما جاء فيه مؤكِّد واحد، والخبر الإنكاري: وهو ما جاء فيه أكثر من مؤكِّد لرفع الشك من ذهن السامع[١٣].

وقد وردت الأخبار في الخطبة القاصعة بأغراض مختلفة منها:

١- الإرشاد: وهو أسلوب استعمله أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته لإرشاد الناس إلى الطريق الصحيح، وهو من الأغراض التي يخرج إليها الخبر عن معناه الحقيقي ليفيد فائدة الإرشاد مجازيًّا، وقد جاء في قوله (عليه السلام): «فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ فَعَدُوُّ اللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ»[١٤]، وهذا الخبر أراد أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يرشد الناس عن طريقه إلى عدم التعصب، وعليهم ترك الميول التي تؤدي إلى العصبية والتعنت مقابل أوامر الله تعالى، لأنها بالنتيجة ستؤدي بهم إلى مهالك الدهر وتفقدهم مكانة الدنيا وفوز الآخرة.

٢- التحذير: يخرج الخبر إلى معنى التحذير الذي يؤديه الخبر مع قرائن السياق، ومنه ما جاء في قوله (عليه السلام): «وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ»[١٥]، فقد حذَّر الإمام من منازعة الله في عزته وكبريائه، لأنهما

رداء الله، فمن لبسها ألبسه الله رداء الذل، وهذا التنازع يترتب عليه جزاء الطرد عن رحمة الله، ولذا كان شعور الإمام علي (عليه السلام) بالمسؤولية الدينية الواجبة التي تحتم عليه انقاذ الناس من الجهالة وحيرة الضلالة.

وكذلك جاء الخبر في بعض السياقات للتحذير في قوله (عليه السلام): «وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ»[16]، فأراد الإمام (عليه السلام) أن يبين علم الله بما تخفيه القلوب، فقد حذَّر بذلك على سبيل الإخبار بالجملة الإسمية التي تفيد الثبوت، وعن طريقها بيَّن ثبات علم الله بما تكنّه القلوب وما يفعله العباد في السرائر.

٣- الاستهزاء: يفيد الإخبار في بعض السياقات مجازيًّا معنى الاستهزاء، ومنه ما جاء في قوله (عليه السلام): «صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ»[17]، فقد جاء أسلوب الإخبار وأريد منه الاستهزاء بهؤلاء الذين صدّقوا إبليس لأنهم أوكلوا أمورهم إليه وتبعوه في كلِّ شيء، وهذا استهزاء في عقولهم التي استحوذ عليها إبليس بمكره، وفي هذه المقولة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح/ ٢٦]، أي الذين صدقوا إبليس فيهم عرق من الذين ينتصرون لأنفسهم ولو على حساب دينهم.

٤- التوبيخ: بعض السياقات الإخبارية يراد منها التوبيخ مجازيًّا، منها ما جاء في قوله (عليه السلام): «وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا»[18]، فقد

وبخهم الإمام (عليه السلام) بمخالفتهم له بسبب عاداتهم الجاهلية التي استولت عليهم، فبين ذلك من طريق الإخبار، وهذا الأسلوب الذي جاء به أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أوقع في النفس وبيانه أوكد، وفيه بيان أنه (عليه السلام) حصن الله تعالى الذي أحكمه، ولو نمحص المؤكدات التي جاء بها الإمام (عليه السلام) لوجدناها أكثر من أربعة مؤكدات مما يدل على إنكارهم وتعنتهم بالتعصب، فضلًا عن حركة الأفعال التي بينت شدة تمسهم بحبل إبليس دون حبل الله.

٥- التقرير: هو أن المخبر يعرف النتيجة من إلقائه للخبر، ومنه ما جاء في قوله (عليه السلام): «فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ وَمَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ»[١٩]، فقد أخبرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يعرف النتيجة، ومع ذلك ألقى اليهم الخبر، وهذا المقطع يذكره الإمام (عليه السلام) في مضمار خطبته ليبين مكانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومكانته من رسول الله، لكن القوم كان الصمم مسيطرًا على آذانهم ولا يفقهون قولا.

فقد كان للبنية التركيبية الخبرية أثرٌ في توجيه المعنى المراد توصيله من قبل أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الناس بطريقة محببة ناصحة، وليست طريقة الجبر والإلزام ولي الأذرع، ولو أراد ذلك لفعل وهو قمين بالفرض، لكنّه (عليه السلام) استعمل النصح والإرشاد والتوبيخ اللفظي لاعتقاده أنها أقوى من السيف، والخطبة القاصعة تحمل كثيرًا من الأغراض الخبرية التي تثري المعنى؛ ولكن البحث فيها وإحصائها كلها يطول المقام في البحث، وما ذكرناه للمثال لا للحصر.

المبحث الثاني:
الإنشاء الطلبي حدّه، صيغه وأغراضه البلاغية، وتطبيقاته.

لا يكاد كتاب في البلاغة العربية يخلو من أسلوب الإنشاء، إذ يمثل العماد الرئيس لمفهوم الجملة، ويكون -مع الخبر- اللبنة الأساسية في منهاج البلاغة العربية؛ إذ قسم البلاغيون الكلام الى خبر وإنشاء، وسبق أن تحدثنا في الخبر، وحده وأغراضه البلاغية، وما يجب لكل ضرب منه. وظهر في الحديث هناك تتنوع أساليب الخبر بحسب أحوال المخاطبين ومقام الخطاب، وبقي أن نتحدث عن أساليب الإنشاء وأنواعها وما يتحقق من البلاغة عند استعمالها، ولما كانت معرفة الشيء فرعًا عن تصوره كما يقول الأصوليين فمن المناسب أن نبدأ بتعرف الإنشاء[٢٠].

في اللغة: الإنشاء: الابتداء أو الخلق والابتداع، وأنشأ الله الخلق: ابتدأ خلقهم، إذ يقال أنشأ الله السحاب، أي ابتدأها ويقال فلان ينشئ الأحاديث أي يضعها فهو إذن الابتداء والوضع والابتداع[٢١].

في الاصطلاح: تكاد تجتمع كلمة أرباب البلاغة على أنَّ الإنشاء: هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته سواء كان الواقع الخارجي يطابقه أو لا يطابقه[٢٢] فهو «قولٌ لا يُوصف بصدق ولا بكذب، كأن تقول لإنسان: قِفْ، فهذا أمر لا يُقال لقائله: صادق ولا كاذب»[٢٣]، فالسؤال والطلب والنداء والنهي لا يحتملون التصديق والتكذيب، فكلها طلب، والطلب لا يستدعي بين صدقه وكذبه وإنّما الرفض أو التنفيذ.

• صيغ الإنشاء الطلبي وأغراضها وتطبيقاتها:

للإنشاء الطلبي صيغ أربع وهي:

(الاستفهام، الأمر، النداء، النهي)، وهذه الصيغ إن كان الطلب فيها حقيقيًّا قلَّ موطأ البلاغة فيها، وإن خرجت عن معناها الحقيقي إلى معان مجازية كانت البلاغة فيها كبيرة، وهذا يُعرف عن طريق السياق الذي ترد فيه هذه الصيغ، وسنرى منها في الخطبة القاصعة وإيراداتها وكيفية توجيه المعنى فيها إن شاء الله تعالى.

أولًا- الاستفهام: أول من أشار إليه وإلى أدواته وأغراضه؛ سيبويه (ت: ١٨٠هـ) في كتابه تحت باب (باب الاستفهام) وذكر له كثير من الأمثلة[٢٤]، وبعده ذكره الفراء (ت ٢٠٧هـ) في معاني القرآن وأبو عبيدة (ت ٢١٠هـ) في مجازه والأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) في معاني القرآن[٢٥] فهو مصطلح قديم يراد منه طلب الفهم لشيء لم يكن مفهومًا بوساطة أدواته[٢٦].

• الأغراض البلاغية التي خرج إليها الاستفهام في الخطبة القاصعة:

١- **التقرير**: وهو الاستفهام الذي يكون فيه السائل والمجيب يعرفان الجواب، وكثيرًا ما يأتي في سياق النفي، ومنه ما جاء في قوله (عليه السلام): «**أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرَضِينَ وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ**»[٢٧]، فقد بيَّن الإمام (عليه السلام) أنَّ الذين هلكوا كانوا يدَّعون الربوبية لغرض امتلاك رقاب الناس، والذين وجه الخطاب إليهم يعرفون ذلك، ولذا خرج الاستفهام إلى التقرير، ففي قرارة أنفسهم يعرفون ما حصل لأولئك الذين ادعوا الربوبية ومآلهم إلى أين، فكان للتقريرية التي استعملها أمير المؤمنين (عليه السلام) الحافز المكنون في أنفسهم واستنهاض الهمة فيهم للخلاص من الكبر والعجب.

ومن الاستفهام التقريري ما جاء في قوله (عليه السلام): «**وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ**

الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَالْبَلَاءِ، أَ لَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالًا اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيدًا فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَجَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ...»[٢٨]، ففي سياق ارشادهم لأخذ العبرة من الماضين شحذ أمير المؤمنين هم الناس لاتخاذ هؤلاء عبرة لهم والحذو حذوهم، وهم يعلمون ما حصل إليهم في غابر الأيام، فكانت التقريرية هنا بمثابة أسلوب الحجاج عليهم، فليس لهم بعد ذلك حجة؛ لأنَّهم يعلمون بأحوالهم.

وَمَا تَسْأَلُونَ قَالُوا تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ (ﷺ): إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ فَإِنْ فَعَلَ اللهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ وَمَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ»[٢٩]، فقد أنكر رسول الله (ﷺ) عليهم إيمانهم، لأنَّه يعرف مكرهم، وأنَّ سؤالهم هذا ليس حقيقيًّا وإنَّما كان بدافع التكذيب والإنكار، ولذا خرج الاستفهام إلى معنى الإنكار، فكان توجيه المعنى عن طريقه إلى بيان الدناءة التي كانت تعيشها تلك الطغمة الفاسدة المنكرة لمعاجز رسول الله (ﷺ)، وبه استبان المعنى الحقيقي من المجازي.

٢- **الاستفهام الإنكاري**: وهو الاستفهام الذي يخرج عن معنى الفهم إلى الإنكار، وقد ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا اللون من الاستفهام في سياق استشهاده بقول رسول الله (ﷺ) فقال: «قَالَ (ﷺ):

٣- **النفي**: من خروجات الاستفهام المجازية هو خروجه إلى

النفي، ومنه ما جاء في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «.. فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْنُونَنِي، وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ..»[٣٠]، فقد خرج الاستفهام بـ(هل) إلى النفي، فكان المعنى: لا يصدقك في أمرك إلا مثل هذا، ومثل هذا القول كثير في كلام العرب والقرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن/ ٦٠]، وقد أثرى هذا الأسلوب البلاغي المعنى دلالة وقوة، وكان أوقع في نفوس المتلقين من غيره، وقول المشركين لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في حادثة معجزة الشجرة بهذا الأسلوب أرادوا منه التهكم والتصغير، واستشهاد الإمام (عليه السلام) بهذه الحادثة في سياق خطبته ليبيِّن أنَّه أول القوم إسلامًا وأقدمهم إيمانًا ولم يسبقه إلى ذلك أحد؛ لأنَّ المشركين حصروا تصديق النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بأمير المؤمنين (عليه السلام).

٤- **الاعتبار**: يخرج الاستفهام في بعض الأحيان إلى أخذ العبرة، ومنه ما جاء في قوله (عليه السلام): «أَ لَا تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صلوات الله عليه إِلَى الْآخِرِينَ»[٣١]، فقد ذكر الإمام الاستفهام لغرض الاعتبار، وهذا ما كشف عنه السياق في قوله، وكيف أخذ العبرة من اختبار الله لخلقه من آدم فما دون.

٥- **التيئيس**: من المعاني التي يعطيها الاستفهام؛ التيئيس، وقد ورد هذا اللون من المعاني البلاغية في الخطبة القاصعة، فيقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَمَنْ ذَا بَعْدَ إبليس يَسْلَمُ عَلَى اللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ»[٣٢]، فقد أشار الإمام إلى التيئيس بأسلوب الاستفهام، فلا يأتي أحد بعد إبليس يسلم على الله البتة، وهذا السياق الاستفهامي أثرى المعنى العام من

خلال التيئيس.

٦- **الخبر**: في فبعض أحيان الاستفهام يخرج إلى الإخبار ليبين مفهوم الخبر بطريقته، وهذا ما جاء في قوله (عليه السلام): «**فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا**»[٣٣]، فقد خرجت (كيف) عن حاليتها للخبر وقد أشار إلى هذا المعنى السياق الذي وردت فيه فيهذه القطعة المباركة من الخطبة.

مما تقدم من أسلوب الاستفهام تبين أثره في توجه المعنى والتأكيد على المراد بطرقه المختلفة بوساطة أدواته، وقد أثرى هذا اللون من ألوان البلاغة العربية؛ الخطبة المباركة بالمعنى الذي استدعاه الإمام ليسترعي انتباه السامعين، فكانت للاستفهام الحضوى الكبرى في هذه الخطبة الشريفة.

ثانيًا/ الأمر: حدُّه، صيغه و تطبيقا ته .

في اللغة: أمر فلان فلانًا أي طلب منه فعل الشيء، وهو على وجهين: الأول: ما كان جمعه أوامر، وهو ما كان الطلب من الأعلى إلى الأدنى فيكون واجب التنفيذ مما يُسمى بالأمر الحقيقي، والثاني ما كان نقيض النهي وهو إلقاء القول لغرض الحصول على الفعل[٣٤].

في الاصطلاح: ذكر البلاغيون هذا اللون من البلاغة وعرفوه بأنَّه: طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام شريطة أن يكون من الأعلى إلى الأدنى وهذا ما أسموه بالأمر الحقيقي، وإذا خرج الأمر عن هذا الإلزام فلا يصح بأن يُسمى حقيقيًا وإنَّما يكون مجازيًا يخرج عن الأمرية إلى معانٍ متعددة يكشفها السياق الوارد فيه الأمر[٣٥]، ولو

«اكتفوا بالجزء الأول من التعريف لما احتيجَ لهذه الخروجات، إذ لو كان التعريف هو: طلب حصول الفعل، لكان الأمر أمرًا بمعنى الطلب فقط»[٣٦].

* صيغه وتطبيقاته: للأمر ثلاث صيغ في الطلب وهما:

١- فعل الأمر: وهي الصيغة التي يرد فيها مَن عنى الأمر بصيغة (افْعَلْ)، والفاعل فيه مستتر وجوبًا تقديره (أنت)، مثل: اذهب، قُمْ، جالسْ، قدِّمْ، قِ ..... وغيرها، وقد حازت الخطبة المباركة مجموعة من الأفعال بهذه الصيغة بمعان مختلفة يكشفها لنا السياق الواردة فيه، منها:

أ- الاعتبار: وذلك ما جاء في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ؛ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ لَا يُدْرَى أَ مِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ»[٣٧]، وقد خرج ههنا الفعل عن معناه الحقيقي إلى الاعتبار، وهو المعنى البلاغي الذي أفاده فعل الأمر هنا، وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) لهذا المعنى البلاغي مباشرة بلفظ (اعتبروا)، وهو أخذ العبرة مما فعل إبليس بنفسه التي آل مآلها إلى الحضيض والطرد عن رحمة الله، وهو الذي كان يعبد الله سنين عددا.

منه ما جاء في قوله (عليه السلام): «فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَصَوْلَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ، وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ»[٣٨] ففي هذه المقطوعة من الخطبة الشريفة أراد الإمام (عليه السلام) أن يبين ما حصل للذين سبقوهم بأكثر من فعل لغرض أخذ العبرة وعدم

السقوط بمزالق السابقين؛ لأنَّ الأيام تتكرر والأحداث تُعاد، فقد استعمل الفعل (اعتبروا) والمراد منه بيان ترك التكبر والاتعاظ من قصص الأمم المستكبرين، وفيها شيء من التحذير والتهديد من غضب الله تعالى، ثمَّ انتقل إلى الفعل (اتعظوا)، وأراد به أخذ العظة مما آلت إليه خدود الأمم السابقة ومصارعها، وقال بعد ذلك (استعيذوا)، والاستعاذة دائمًا تكون بالله من الشيطان وطوارق الدهر، وهنا أراد أن يوضح الإمام (عليه السلام) أن التكبر لا يقل شأنًا عن فعل الشيطان وطوارق الحدثان، فكلها تؤدي بالإنسان إلى السقوط في هاوية غضب الله، وحركة الأفعال هذه أثْرَتِ المعنى بإيراد الاعتبار على أكمل وجه.

ب- التحذير: فقد حذر أمير المؤمنين (عليه السلام) المسلمين بطريقة الأمر الإرشادي، فلم يستعمل معهم القوة في الطلب، وذلك في قوله: «**فَاحْذَرُوا عَدُوَّ اللهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ**»(٣٩)، وهنا خرج الأمر إلى التحذير بلاغيًّا فلا يريد معنى الفعل الحقيقي، وإنَّما تحذير المتلقي من عداوة إبليس له بالتكبر والغرور والعصبية فيؤدي ذلك به إلى الطرد من رحمة الله كما طُرد إبليس.

ج- الإرشاد: من المعاني التي خرج إليها الأمر في الخطبة هو الإرشاد، وذلك ما جاء في قوله (عليه السلام): «**فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَادًا، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّادًا**»(٤٠)، فقد أراد (عليه السلام) إرشاد الناس بطريقة الأمر المجازي الذي أورده بصيغة اتقوا، والتقوى هنا أراد منها ارشادهم بدفع الندية والضدية عنهم مقابل نعمة الله التي أنعمها عليهم.

٢- اللام المقترنة بالفعل المضارع:

من صيغ الأمر المعروفة عند

العرب في كلامهم؛ اللام التي تقترن بالفعل المضارع، وهذا التركيب يُراد به الأمر، ولا يخرج عن المعنى العام لمفهوم الأمر؛ إذ يراد منه الحقيقي والمجازي بحسب رتبة المخاطِب والمخاطَب، وهذا الذي يكشفه السياق، ففي الخطبة المباركة جاء بمعان مختلفة منها:

أ- الإرشاد: وهو أحد المعاني التي يخرج إليها الأمر الذي يكشف عنه السياق، ومنه ما جاء في الخطبة القاصعة في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ»[٤١]، فقد خرج الأمر ههنا إلى الإرشاد، فقد أرشد الإمام (عليه السلام) الناسَ إلى أن يكون التعصب لمكارم الخصال والأخلاق وأن تكون أفعالهم محمودة، ولا يكون تعصبهم كتعصب إبليس عنصريًّا ذاتيًّا تكبريًّا.

ب- الاستهزاء والتكذيب: أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الخطبة المباركة بعض القصص القرآنية المتعلقة بإبليس وما حدث مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وذكر كيف استُهْزِء برسول الله (صلى الله عليه وآله) إبَّان البعثة المكرمة، ومنها ما حصل معه في حادثة الشجرة، وقد ذكرها الإمام (عليه السلام) في القاصعة المباركة لغرض العبرة وعدم الوقوع في شراك التكبر مرة أخرى، فمن ذلك ما ذكره في القاصعة قول قريش للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وكان الإمام (عليه السلام) حاضرًا إلى جنب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيصفها أيَّما وصف، فيقول لَمَّا طلب القرشيون من الرسول الأكرم أن تأتيه الشجرة: «قَالَ (صلى الله عليه وآله): يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللهِ، فَوَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا

وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله (ﷺ) مُرَفْرِفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ الله (ﷺ) وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ (ﷺ)، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عُلُوًّا وَاسْتِكْبَارًا: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ الله (ﷺ)»[٤٢]، وقولهم (فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا) أرادوا أن يستهزؤا برسول الله (ﷺ) ويكذبوه لعدم تقبلهم هذا المشهد، فأرادوا دفعه بكل ما أوتوا من قوة، لأنَّ ذلك سوف يضرب مصالحهم ويزيد من إقبال الناس على النبي الأكرم (ﷺ).

ومنه ما جاء في تكملة هذه القصة المباركة التي يذكرها سيد الوصيين أمير المؤمنين (عليه السلام) فيذكر قولهم الآخر إلى رسول الله (ﷺ) بصيغة الأمر معاندين على كفرهم وتكذيبهم لرسول الله (ﷺ): «فَقَالُوا كُفْرًا وَعُتُوًّا: فَمُرْ هَذَا النَّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ (ﷺ) فَرَجَعَ فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا الله إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ الله، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ الله تَعَالَى تَصْدِيقًا بِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ..»[٤٣]، فقد وصف الإمامُ (عليه السلام) فعل هؤلاء بالكفر والعتو وعدم الإيمان البتة، فأيُّ أناس كان يدعو رسول الله (ﷺ)؟ وإلى أيِّ عقولٍ مجَّة بُعث؟! يُطالبوه بمعجزة ويعدونه بالإيمان؛ ولَمَّا يأتيهم بالمعجزة؛ لا يزيدهم ذلك إلا نفورًا وعتوًا وكفرًا رحم الله الشيخ أحمد الوائلي الذي يقول:

[من الكامل]

حقدٌ إلى حسدٍ وخسةُ معدنٍ

مطرت عليك وكلهنَّ هتونُ

راموا بها أن يدفنوكَ فهالهم
أن عاد سعيهمُ هو المدفونُ
وتوهموا أن يُغرقوكَ بشتمهم
أتخاف من غرقٍ وأنتَ سفينُ[٤٤]

٣- المصدر النائب عن الفعل:

من الألفاظ التي تؤدي معنى الأمر في العربية هو المصدر النائب عن فعله، وهو شائع في الاستعمال العربي، وقد جاء في الخطبة القاصعة في مورد واحد أفاد عن طريقه التنبيه والتحذير، وذلك في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «**أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا الْهُجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ وَمُغَالَبَةً لِآلَائِهِ، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ**»[٤٥]، فقد صدَّر الإمامُ قوله بأداة التنبيه (ألا) ليسترعي انتباه الناس لما سيقوله، ثمَّ جاء بالمصدر (الحذر) بمعنى احذروا، وتكراره أفاد التأكيد والبيان وليس من باب الإطناب، ولم يحذرهم الإمام (عليه السلام) من دون بيان السبب من التحذير، فقد أشار إلى سبب الحذر وهو تفادي الوقوع في آبار الفتنة والعصبية التي تستولي على عقول السادة والكبراء الذين تكبروا عن حسبهم وترفعوا فوق نسبهم؛ لأنَّهم قواعد أساس العصبية، ولفظ قواعد أراد منها الإمام (عليه السلام) الارتكاز، فالقاعدة تعني مصدر الارتكاز فهم بمثابة الارتكاز الذي ترتكز عليه العصبية، وفيهم أنفة من الجاهلية لا تفارق عقولهم، وهذه القرائن ميَّزتهم عن السادة والكبراء الذين التزموا أوامر الله وانتهوا بنواهيه ولم تأخذهم حمية الجاهلية، فالقرائن أفادت البيان والتوضيح الضدي.

ثالثًا/ النهي: صوره وأغراضه

البلاغية:

النهي في اللغة: يقول ابن فارس: «النون والهاء والياء، أصل صحيح يدل على غاية وبُلوغ، ومنه أنهيتُ إليه الخبر: بلَّغتُه، ونهايةُ كلِّ شيء: غايتُه، ومنه: نهيتُه عنه، وذلك لأمر يفعله، فإذا نهيته فتنتهى عنك؛ فتلك غاية ما كان...والنُّهية: العقل؛ لأنه ينهى عن قبيح الفعل، والجمعُ: نُهى»[٤٦]، والنهي خلاف الأمر فهو طلب أيضًا؛ ولكنه بعكس طلب الأمر؛ إذ هو طلب الكف عن الفعل والزجر عنه[٤٧].

في الاصطلاح: فهو من الأساليب الإنشائية التي تفيد طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء[٤٨]، وله صورة واحدة للعمل، وهي (لا الناهية + الفعل المضارع)، وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى بلاغية يكشف عنها السياق بالمعنى العام حاله في ذلك حال الأساليب الأخرى، منها:

١- النصح والإرشاد: في أغلب مفاصل الخطبة المباركة ورد النصح والإرشاد ولكن بأساليب مختلفة، ومن هذا يكشف مدى الشعور بالمسؤولية من قبل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فمن هذا الغرض ما جاء بصورة النهي قوله (عليه السلام): «**وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ..**»[٤٩]، قدَّم (عليه السلام) النصح للناس بطريقة النهي، وهو لم يستعمل النهي الحقيقي بالفرض والإلزام والردع وقوة الحكم، وإنَّما كان بهذه الطريقة الأبوية الشاعرة بالألم والخوف على مستقبل الرعية.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله (عليه السلام): «**فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَادًا وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ**

حُسَّادًا»[٥٠]، لأنَّ الذي يجحد نعمة الله تعالى يخسرها ويجني من جحده غضب الله، لذلك كان النصح بطريقة النهي المباشر.

٢- التحذير: فقد جاء في الخطبة المكرمة أسلوب النهي وأُريد منه التحذير، وذلك في قوله (عليه السلام): «وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ»[٥١]، فقد حذرهم الإمام (عليه السلام) من إطاعة الأدعياء وهم أبناء البغايا الذين لا يعرفون آباءهم، وهذه إشارة منه (عليه السلام) لمعاوية وعمرو بن العاص حيث كانا كلاهما من الأدعياء.

رابعًا/ النداء:

في اللغة: هو مشتق من الندى، والنداء هو الصوت[٥٢]، فهو «صوتٌ مجردٌ غير مفهوم الكلمات... و"النداء" من العبد في القرآن يأتي بمعنى الدعاء.... فهو رفع الصوت بطلب من يُنادى، وله حروف مخصوصة..... يُقال: ناداه، ونادى به، مناداة ونداء؛ أي صاح به ودعاه بأرفع الصوت»[٥٣]، فهو رفع الصوت، وطلب من المقابل أن أقبلْ.

في الاصطلاح: لا يختلف معنى النداء في الاصطلاح عن معناه اللغوي، فهو: مخاطبة المنادى بوساطة أحد أحرف النداء المنابة عن الفعل (أدعو)، وتوجيه الدعوة له بالإقبال[٥٤]، وللنداء مجموعة من الأغراض يؤديها في السياق البلاغي، منها ما جاء في الخطبة القاصعة المباركة:

١- الإنكار: وهو من الأغراض التي يخرج إليها النداء عن معناه الحقيقي في الإقبال، وقد جاء في مضمار الخطبة القاصعة في ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) إنكار المشركين نبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال (عليه السلام): «لَمَّا أَتَاهُ

الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ»[٥٥]، فقد انكروا عليه ما جاء به، فكان نداؤهم لبيان الإنكار وعدم قبول الأمر.

٢- الأمر: يأتي الأمر بصيغة النداء؛ ليكشف مدى صدق المنادي وإطاعة المنادى، ومنه ما جاء في الخطبة القاصعة في حادثة الشجرة؛ إذ قال رسول الله للشجرة:«يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ»[٥٦]، فقد أشار رسول الله (ﷺ) إلى الشجرة بصيغة النداء وهو يأمرها بالفعل.

المبحث الثالث

التقديم والتأخير وأثرهما في توجيه المعنى وتطبيقهما في الخطبة

يُعدُّ التقديم والتأخير مظهرًا من مظاهر إثراء المعنى، يعمد إليهما المتكلم بقصدية بيان المعنى المراد منه، ولا يكاد يخلو كتاب في البلاغة من هذا الأسلوب البلاغي الرصين، ويُمثلان قدرات تعبيرية يستعملها المتكلم الذكي ويُديرها إدارة حية وواعية، فيسخرهما تسخيرا منضبطا مقصودًا للبوح بأفكاره وأحاسيسه ومختلف خواطره، ومواقع الكلمات من الجملة تأتي بمعانٍ مختلفة يبيِّنها السياق العام في التركيب، وهي شديدة الحساسية، وأي تغيير فيها يحدث تغييرات جوهرية في تشكيل المعاني وألوان الحس وظلال النفس[٥٧].

ففي اللغة: التقديم: مأخوذة من (قَدَمَ)، و«الْقَافُ وَالدَّالُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى سَبْقٍ وَرَعْفٍ...»[٥٨]، فهو من السبق، وهو نقيض التأخير، والتأخير: هو ضد التقديم، ذلك أنَّ «الهمزة والخاء والراء أصلٌ واحِدٌ إليه ترجع فروعة وهو خلاف التقدُّم»[٥٩].

في الاصطلاح: فهو تقديم الألفاظ التي حقها أن تتأخر وتأخير ما حقه التقديم[٦٠]، فلم يختلف المعنى العام الاصطلاحي عن المعنى اللغوي كما تبيّن في التعريفات.

والتقديم والتأخير كمفاصل البلاغة الأخرى، فما قُدِّم لفظ على لفظ إلا لغرض أريد منه، ولا يتأخر لفظ إلا لغرض أيضًا، ومن الأغراض التي جاءت في التقديم والتأخير في الخطبة القاصعة:

١- الحصر: وهو من الأغراض التي يخرج إليه التقديم والتأخير، ومنه ما جاء في مطلع الخطبة القاصعة، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «الْحَمْدُ لله الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ»[٦١]، فقد قدَّمَ شبه الجملة (لنفسه) على (دون خلقه)، وهو حقه أن يتأخر لغرض حصر العز والكبرياء بنفس الله ولا يجوز لغيره أن يلبسهما، فخرج التقديم هنا للحصر.

٢- الاهتمام: يخرج التقديم والتأخير إلى الاهتمام لبيان اهتمام الباث باللفظ المتقدم، وهذا ما جاء في قول الإمام (عليه السلام): «اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ»[٦٢]، إذ قدَّم الإمام لفظ (بذلك) الذي يقصد به العزَّ والكبرياء، وقد أشار إليهما بصيغة الواحد للدلالة على أنهما غير منفكين عن بعضهما، وهما من مختصاته تعالى ولا ينازعه بهما أحد، وهذا التقديم أفاد اهتمام الله تعالى بهذين الأمرين، وكذلك تقديم شبه الجملة (منهم) للغرض ذاته.

ومن ذلك ما جاء في الآية المباركة التي استشهد أمير المؤمنين بها، وهي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص/ ٧٢]، فقد

قدَّمَ تعالى (فيه) وقدَّم (له) وهو من متعلقات الفعل (فقعوا)، وتقديمه على (ساجدين) لاهتمام الله تعالى بآدم (عليه السلام).

٣- للبيان: يأتي في بعض السياقات النصية التقديم والتأخير للبيان والتأكيد، ومنه ما جاء في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ»(٦٣)، حيث قدَّم متعلقات الجملة الإسمية (فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ) على الخبر (لواحد) للبيان والتأكيد، وتكرار كلمة (أهل) زادت من المعنى توكيدا.

٤- للتوهين والتصغير: يأتي التقديم والتأخير لغرض التوهين والتضعيف والتصغير، ومنه ما جاء في قول أمير المؤمنين (عليه السلام) يشحذ همم الناس وحثهم على منابذة إبليس، فيقول: «فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ وَلَهُ جِدَّكُمْ»(٦٤)، فقدَّم الإمام (عليه السلام) الجار والمجرور (عليه) ويقصد إبليس، لتوهينه وتصغيره وبيان ضعفه، وشحذ همم الناس وبيان قدرتهم على ذلك وأن كيده ضعيفٌ فلا يمكنوه من أنفسهم.

٥- التحذير: كثيرًا ما يأتي التقديم والتأخير لغرض التحذير، ومنه ما جاء في سياق الخطبة الشريفة يحذر الإمامُ (عليه السلام) الناسَ من إبليس وجنوده، فيقول: «فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا وَرَجِلًا وَفُرْسَانًا»(٦٥)، إذ قدَّم (لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ) وهو الخبر ومتعلقاته على اسم إنَّ (جنودًا)؛ كي يُحذرهم منه لأنَّ مشروعه يمتاز بالخطورة الدائمة.

ومنه ما جاء في قوله (عليه السلام): «فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَادًا، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّادًا»(٦٦)، فتقديم (لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ) والظرف (لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ) تحذيرًا من جحود نعم الله تعالى التي أنعمها

على الناس، وشكرها يؤدي إلى دوامها، وجحودها يؤدي إلى زوالها، ولذا جاء التحذير حتَّى لا يقعوا في المحظور.

٦- التهكم: تُقدَّم بعض الألفاظ لغرض التهكم، ومنها ما جاء في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ، اتَّخَذَهُمْ إبليس مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجُنْدًا بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ اسْتِرَاقًا لِعُقُولِكُمْ...»[٦٧]، بعد أن حذرهم الإمام (عليه السلام) من إبليس نصحهم بعدم الركون إلى كبرائهم وأدعيائهم الذين اتخذهم إبليس مطايا يركبهم أنَّى شاء، وفي هذه القطعة مجموعة من الألفاظ المقدَّمة وهي حقها التأخير؛ لكن ما نريده في التهكم هو تقديم (جندًا) على الفعل و(تراجمة) على (ينطق) وهما للتهكم والاستخفاف في عقولهم.

٧- للتخصيص: من الأغراض البلاغية التي يفيدها التقديم والتأخير هو غرض التخصيص، ولعلَّ هذا الغرض هو الأبرز في كلام العرب والقرآن الكريم، ومنه ما جاء في قول أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أن يبين حال البيت الحرام: «...يُهَلِّلُونَ لله حَوْلَهُ وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثًا غُبْرًا لَهُ»[٦٨]، فقد قدَّم لفظ الجلالة (لله) للتخصيص، ذلك أنَّ التهليل والتكبير من مختصات ذاته المقدسة، وكذلك أخرها في قوله (له) أيضا ليبين الخصوصية في الأعمال لله تعالى.

٨- للتسلية: في بعض السياقات يُقدَّم اللفظ أو يؤخر لغرض التسلية وتخفيف الحزن أو الخوف، ومنه ما جاء في الخطبة الشريفة في قول أمير

المؤمنين (عليه السلام): «حَتَّى إِذَا رَأَى اللهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ وَالِاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلَاءِ فَرَجًا»[٦٩]، إذ قدّم متعلقات الفعل (جعل) وهي (لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلَاءِ) على مفعوله (فرجًا) لغرض التسلية وحثهم على الصبر ومكاره الدهر والأذى، لأنَّ الله تعالى إذا رأى العبد صابرًا جعل له من بين همومه فرجًا ينفس به كُربه.

٩- التقريع: من الأغراض التي يخرج إليها التقديم والتأخير؛ غرض التقريع والتأنيب وبيان مآل الحال الذي وصل إليه المقرّع، ومنه ما جاء في قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذكر أحوال العرب بعد الهجرة، يقول: «وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَابًا وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ أَحْزَابًا»[٧٠]، فقرَّعهم الإمام (عليه السلام) بطريقة تقديم الظرف (بَعْدَ الْهِجْرَةِ) على المفعول (أعرابًا)، وهذا الأسلوب يحمل في طيته التنبيه إلى جانب التقريع المباشر والذم الخطابي الصريح، ومثله تقديم (وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ) على المفعول (أحزابًا).

١٠- للسبق والترتيب: يخرج التقديم والتأخير لغرض السبق والترتيب بين الأشياء زمنًا أو أفضليَّة، ومنه ما جاء في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «..فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ وَرَجَّةُ صَدْرِهِ...»[٧١]، فنجد أنَّه قدَّم الناكثين -وهم أصحاب الجمل- على القاسطين- وهم أهل صفين- وكذلك قدَّمهما على المارقين- وهم أهل النهروان- للترتيب الزمني في القتال، والسبق الحدثي الذي قامت المعارك معهم، فكان غرض التقديم

للسبق والترتيب الزمني.

وفي الخطبة المباركة كثير من الألفاظ التي قُدِّمت وحقها أن تتأخر لأغراض مختلفة، وأكثرها الجار والمجرور (متعلقات الأفعال)، لكننا نكتفي بهذا القدر رعاية للاختصار وخشية الإطالة، وما ذكرناه للتمثيل لا للحصر. والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

الحمد لله على ما أنعم، والشكر له على ما قدَّم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الغر الميامين، بعد هذه الرحلة المتعة في رحاب الخطبة القاصعة، تمخض البحث بالنتائج الآتية:

١- كان للبنية التركيبية أثرها الجلي في توجيه المعنى المراد بطرقها المختلفة.

٢- لا تقلَّ الخطبة القاصعة الشريفة أهمية عن خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) في سِفْره الخالد (نهج البلاغة) المبارك.

٣- أدّى الخبر في الخطبة القاصعة أغراضه التي أراد الإمام إيصالها للمجتمع المُخاطَب، فكان للخبر موقعه المُميَّز بجمله وبيان أغراضه.

٤- حاز موضوع الإنشاء الحظ الأوفر والأوفى في مفاصل الخطبة المباركة، إذ كان من أكبر المباحث مادَّة في تأدية المعنى، ويمكن تمس ذلك من:

أ- الاستفهام: امتلك حيِّزًا معيَّنًا في الخطبة، وأدَّى بأغراضه المختلفة إلى إثراء السياقات بالمعاني الكثيرة.

ب- الأمر: استعمل الإمام (عليه السلام) موضوع الأمر البلاغي كثيرًا في سياقات الخطبة بصيغه المختلفة، وكان لصيغة (فعل الأمر افعل) الحظوى في ذلك.

ج- النهي: كان أقلَّ إيرادًا من صيغ الإنشاء الطلبي الأخرى في الخطبة.

د- النداء: جاء بطريقة غاية في

الروعة في استعماله لتأدية أغراضه المختلفة، وحصَّته كانت بطريقة التناص القصصي، وبكثرة صيغ الإنشاء الطلبي زادت مفاصله في الخطبة الشريفة.

٥- أدَّى موضوع التقديم والتأخير الأغراض المختلفة في الخطبة الشريفة، وقد اقتصرنا على بعضها رعاية للاختصار.

هوامش البحث

(١) يُنظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم: ٦، مجلة دراسات إسلامية معاصرة: عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر- دراسة في الأفكار والصياغة-: ٢٧١.

(٢) التفسير اللغوي للقرآن الكريم: ٣٥.

(٣) يُنظر: تأويل مشكل القرآن: ٣٠٠.

(٤) يُنظر: مجاز القرآن: ١/ ١١١.

(٥) يُنظر لسان العرب، مادة (قصع).

(٦) نهج البلاغة، شرح محمد عبدة: ٢٨٤، هذا المقطع ذكره الشيخ محمد عبدة في شرحه.

(٧) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٢٣٩.

(٨) لسان العرب، مادة (خبر).

(٩) ينظر:المعجم القرآني، دراسة معجمية لألفاظ القرآن الكريم :٢/ ٥.

(١٠) تفسير من هدى القرآن: ١/ ١٠٥.

(١١) ينظر: الكتاب:١/ ٣١٤، مجاز القرآن: ١/ ٧٤، تأويل مشكل القرآن: ٢١٣- ٢١٤، المقتضب: ١/ ١٢- ٢١، الصاحبي في فقه اللغة: ١٧٩، دلائل الإعجاز: ٦- ٧.

(١٢) مباحث علم المعاني في تفسير (من هدى القرآن) للسيد محمد تقي المدرسي، (رسالة): ١٥.

(١٣) ينظر: البلاغة والتطبيق: ١٠٧، جواهر البلاغة: ٣٨، علم المعاني، دراسة وتحليل: ٤٢، البلاغة فنونها وأفنانها: ١١٣، الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسّور، (اطروحة): ٢٦.

(١٤) نهج البلاغة: ٢٨٥.

(١٥) المصدر نفسه: ٢٨٥.

(١٦) المصدر نفسه: ٢٨٥.

(١٧) المصدر نفسه: ٢٨٦.

(١٨) المصدر نفسه: ٢٩٦.

(١٩) المصدر نفسه: ٢٩٦.

(٢٠) يُنظر: بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: ١٩٥.

(٢١) يُنظر: لسان العرب، مادة (نشأ)، الصحاح في اللغة: ١/ ٧٧.

(٢٢) يُنظر: الإيضاح: ٢/ ١٣٠- ١٣٢، المطوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم: ٤٠٦، التعريفات: ٣٨، الأساليب الإنشائية في النحو العربي: ١٣.

(٢٣) الكافي في البلاغة: ٣٣٠.

(٢٤) يُنظر: الكتاب: ٣/ ١٧٣- ١٨١.

(٢٥) يُنظر: معاني القرآن: ١/ ٢٣، مجاز القرآن: ٢/ ٢٣١، معاني القرآن (الأخفش الأوسط) (ت: ٢١٥هـ: ١/ ٥٦.

(٢٦) يُنظر: مفتاح العلوم: ٥٢٤. المطول،

خطيب الدمشقي: ٢٢٦، التعريفات: ١/ ٣٧، الصاحبي في فقه اللغة، أبن فارس: ١٥١.

(٢٧) نهج البلاغة: ٢٩٥.

(٢٨) المصدر نفسه: ٢٩٤.

(٢٩) المصدر نفسه: ٢٩٩.

(٣٠) المصدر نفسه: ٢٩٣.

(٣١) المصدر نفسه: ٢٩٠.

(٣٢) المصدر نفسه: ٢٨٥.

(٣٣) المصدر نفسه: ٢٩٦.

(٣٤) يُنظر: كتاب العين: ٨/ ٢٩٧، مقاييس اللغة: ١/ ١٣٧، المفردات في غريب القرآن: ١/ ٤٧، لسان العرب مادة (أمر): ٤/ ٢٦، تهذيب اللغة: ٥/ ١٥٩، تاج العروس: ١/ ٢٤٦٣، المعجم القرآني: ١/ ٦١٧.

(٣٥) يُنظر: الأمالي الشجرية: ١/ ٦٨، مفتاح العلوم: ٥٤٣، ٨٦، التلخيص في علوم البلاغة: ١٦٨- ١٦٩، معجم المصطلحات البلاغية: ١/ ١٣.

(٣٦) مباحث علم المعاني في تفسير من هدى القرآن، (رسالة): ٥٠.

(٣٧) نهج البلاغة: ٢٨٥.

(٣٨) المصدر نفسه: ٢٨٨- ٢٨٩.

(٣٩) المصدر نفسه: ٢٨٩.

(٤٠) المصدر نفسه: ٢٨٨.

(٤١) المصدر نفسه: ٢٩٤.

(٤٢) المصدر نفسه: ٢٩٤.

(٤٣) المصدر نفسه: ٢٩٤.

(٤٤) ديوان الوائلي: ٤٢.

(٤٥) نهج البلاغة: ٢٨٨.

(٤٦)) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٣٥٩- ٣٦٠.

(٤٧) يُنظر:المعجم القرآني: ٣/ ٦١٦.

(٤٨) يُنظر: الأمالي الشجرية: ١/ ٢٧١، مفتاح العلوم: ٥٤٥، الإيضاح: ١/ ١٤٥.

(٤٩) نهج البلاغة: ٢٨٧.

(٥٠) المصدر نفسه: ٢٨٨.

(٥١) المصدر نفسه:٢٨٨.

(٥٢) يُنظر: لسان العرب، مادة (ندى).

(٥٣) المعجم القرآني: ٣/ ٥٠٦.

(٥٤) ينظر: التلخيص/ ١٧٢، والمطول/ ٢٤٤.

(٥٥) نهج البلاغة: ٢٩٨.

(٥٦) المصدر نفسه: ٢٩٩.

(٥٧) يُنظر: دلالة التراكيب: ١٧٥.

(٥٨) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٦٥، يُنظر: المعجم القرآني: ٣/ ٢٨.

(٥٩) معجم مقاييس اللغة: ١/ ٦٤.

(٦٠) يُنظر:البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٢٣٣،

يُنظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢/ ٣٢٥.

(٦١) نهج البلاغة: ٢٨٤.

(٦٢) المصدر نفسه: ٢٨٥.

(٦٣) المصدر نفسه: ٢٨٥.

(٦٤) المصدر نفسه: ٢٨٧.

(٦٥) المصدر نفسه: ٢٨٧.

(٦٦) المصدر نفسه: ٢٨٨.

(٦٧) المصدر نفسه: ٢٨٨.

(٦٨) المصدر نفسه: ٢٨٩.

(٦٩) المصدر نفسه: ٢٩٤.

(٧٠) المصدر نفسه: ٢٩٦.

(٧١) المصدر نفسه: ٢٩٧.

معين البحث

• القرآن الكريم.
• الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
• الأساليب البلاغية في تفسير (نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسّور)، (اطروحة)، عقيد خالد العزاوي، جامعة بغداد، ابن رشد، ٢٠٠٢م.
• الأمالي الشجرية، ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، ١٣٤٩هـ.
• الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني ت (٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر الفاطمي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
• البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط١، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.
• بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، د. توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ط، د. ت.
• البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، دار الفرقان، الأردن، ط٤، ١٩٩٧م.
• البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، ود. كامل حسن البصير، ط١، الجمهورية العراقية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
• تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر الناشر دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٢٩١هـ- ١٩٧٣م.
• التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد (الشريف الجرجاني) (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
• التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٢، ١٩٣٤م.
• تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، محمد فرح العقدة.
• جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، ٢٠٠١م.
• دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.
• الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: مصطفى

الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة، بيروت، لبنان، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٤م.
• علم المعاني، دراسة وتحليل، كريمة محمود أبو زيد، دار التوفيق النموذجية، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.
• الكافي في البلاغة، أيمن أمين عبد الغني، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، د. ط، ٢٠١١م.
• كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، د. ط، ١٩٨١م.
• الكتاب، كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
• لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت: ٧١١هـ)، حققه وعلّق عليه، ووضع حواشيه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
• مباحث علم المعاني في تفسير (من هدى القرآن) للسيد محمد تقي المدرسي، (رسالة)، خالد عبد النبي الأسدي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، ٢٠١٧م.
• مجاز القرآن، معمّر بن المثنى أبو عبيدة (ت: ٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه: د. محمد فؤاد سركين، نشر مطبعة سامي الخانجي الكتبي، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.
• مجلة دراسات إسلامية معاصرة: عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر- دراسة في الأفكار والصياغة-، أ. م. د. جاسم عبد الواحد راهي، العدد: ٩، ٢٠١٤م.
• المطوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني (ت: ٧٩٢هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠٠١م.
• معاني القرآن، (الأخفش الأوسط) (ت: ٢١٥هـ)، تحقيق: د. فائز فارس، دار الرشيد للنشر، ط٢، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
• معاني القرآن، الفراء (ت: ٢٠٧هـ) تحقيق د. محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
• المعجم القرآني، دراسة معجمية لألفاظ القرآن الكريم، د. حيدر علي نعمة، د. أحمد علي نعمة، مطبعة السياء، بغداد، د. ط، ٢٠١٣م.
• معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.

أحمد مطلوب، المجمع، العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٦م.

• معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

• المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط٤، ٢٠٠٥م.

• المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٦هـ)، تحقيق: حسن حمد، مراجعة: د. أميل يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

• من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي، دار القارئ، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٨م.

• نهج البلاغة، الإمام علي (عليه السلام)، جمع: الشريف الرضي ت (٤٠٦هـ)، شرح: الشيخ محمد عبدة، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨م.

Editors Board

Prof. Dr. Salah Mahdi Al- Fartousi
University of Rotterdam-Holland

Prof. Dr. Abdul Ali Safih al-Tai
Advisor to the Ministry of Education
France

Prof. Dr. Jawad Kazem Al -Nasrallah
University of Basra- College of Arts

Prof.Dr. Abdul Hussain Abdul Rida Al Omari
University of Dhi Qar- College of Arts

Prof. Dr. Hussein Ali Al-Sharhani
Dhi Qar University- College of Education
for Human Sciences

Prof. Dr. Mohamed Hassanein Al-Naqawi
University of Bahaauddin- Pakistan

Prof. Dr. Mustafa Kadhim Shgedl
College Of Arts/Baghdad University

Asst. Prof. Dr. Nieamah Dahsh Farhan Al- Taee
University of Baghdad
College of Education Ibn Rushd

Asst. Prof. Dr. Ahmed Hussein Abdel Sada
University of Muthanna
College Of Education For Human Sciences

Dr. Haidar Hadi Khalkal Al Shaibani
Directorate of Education - Najaf Ashraf

Prof. Dr. Hassan Hamid AL-Fayyad
University of Kufa - College of Basic Education

Copy Editors (Arabic)

Dr. Ammar Hassan Al Khozai

Asst. Lectur. Ali Abbas Al-Rubaie

Financial and Management

Dr. Ammar Hassan Al Khozai
Ahmed Adnan Al-Muamar
Zaman Jaafar Kadhim
Ali Jassim Mohammed Ali

Copy Editors (English)

Hassan Ali Abd AL-Ameer

Design And Production

Ahmed Abbas Mahdi

Editor-In-Chief

Prof. Dr. Abbas Ali Hussein Al-Faham

University of Kufa- College of Education for Girls

Managing Editor

Prof. Dr. Ali Abdel Fattah El Hadj Farhood

Babylon University

College of Education for Human Sciences

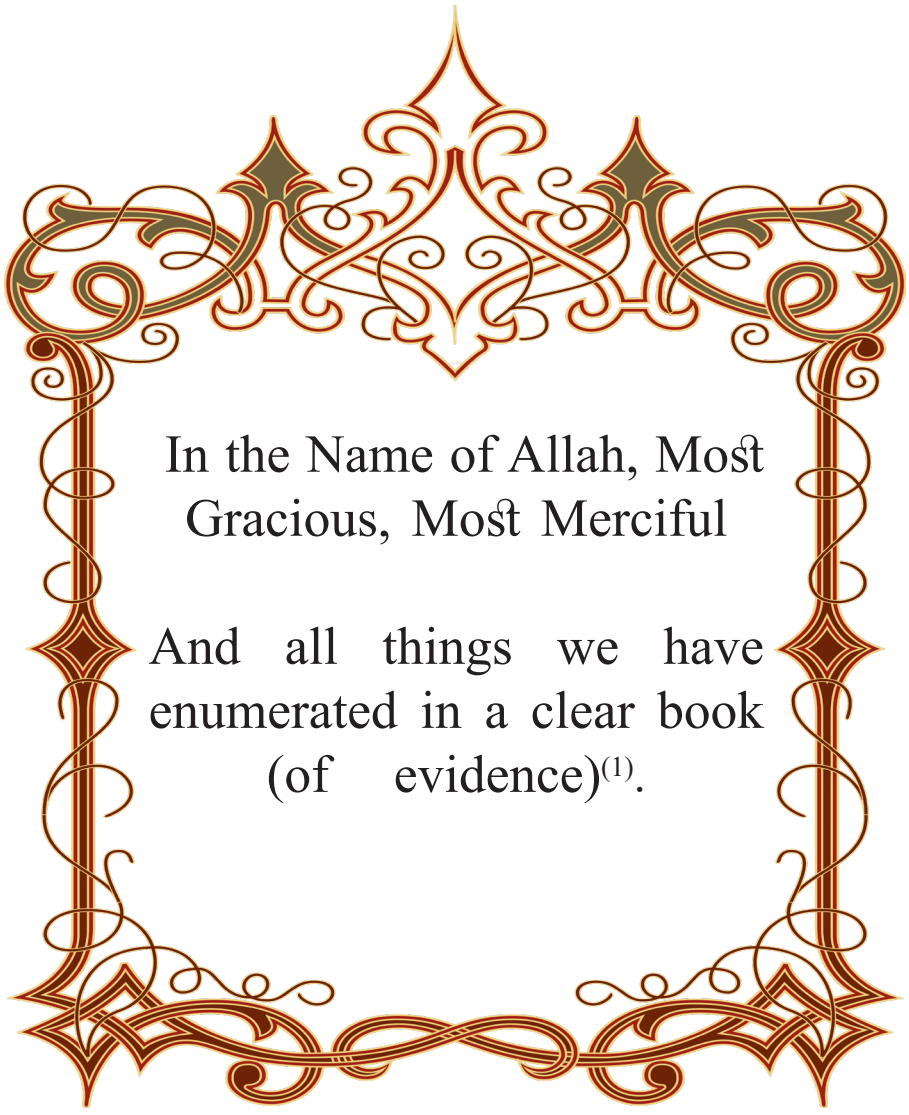

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

And all things we have enumerated in a clear book (of evidence)[1].

1- Abodullah Yussif Ali, The Holy Quran, Text Translation and Comment,(Kuwait: That El-salasil,1989) , Iyat 12,Sura,Yasin.

Al-MUBEEN

Quarterly Adjudicated Journal

Concerned with the Sciences of Road of Eloquence
(Nahj Albalagha) and the chronicle of Imam Ali (a.s)
And his thought

Issued By

General Secretariat of the Holy Al-hussien Shrine

Nahjul Balagha Sciences Foundation

Licensed by

Ministry of Higher Education and Scientific Research
Reliable for Scientific Promotion

Fifth Year. Eleventh Edition

Rabi` al-Thani 1442 AH - November 2020 AD